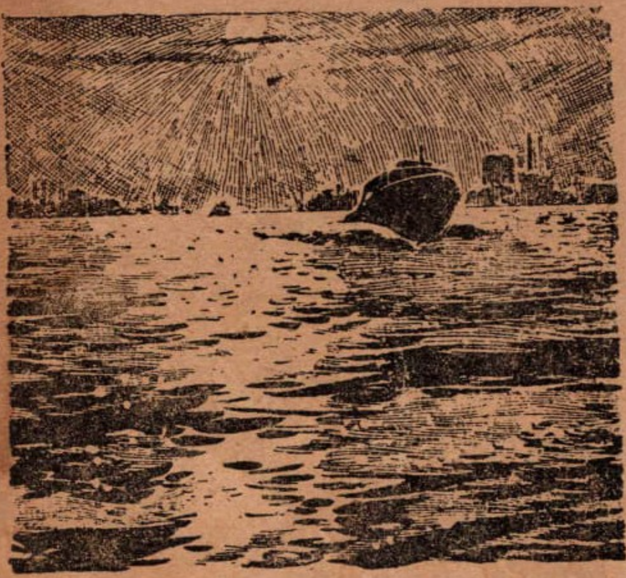
عبد المجيد الونداوي

مختارات من همنكوي



السوردو على قمة التل
«لمن تدق الأجراس»

شحنة الى كوبا
«ان تملك وان لا تملك»

كابورتو
«وداعاً أيها السلاح»

مطبعة الأهالي - بغداد
١٩٥٧

عبد المجيد الونداوي

مختارات من همنكوي

السوردو على قمة التل

« لمن تدق الاجراس »

شحنة الى كوبا

« ان تملك وان لا تملك »

كابورتو

« وداعاً ايها السلاح »

مطبعة الأهالي - بغداد

١٩٥٥

مقدمة

في الادب الامريكي

هناك من المتناقضات في امريكا ما يقف المرء تجاهها حائراً في بادىء الأمر ، ولكنك اذا ما درست الحياة الامريكية والتأريخ الامريكي وحالة العصر الذي يعيش فيه العالم ، تجد ان هذه المتناقضات خلقتها مختلف العوامل الطبيعية وابرزتها عوامل اخرى وجسمتها بحيث اصبحت تجلب النظر . ولعل من ابرز تلك العوامل اختلاط الاجناس والافكار بكثرة وبصورة مستمرة مما جعل كثيراً من التيارات الفكرية الاعتيادية والشاذة على السواء تتفلت في مجار واسعة سريعة وتتجه اتجاهات متناقضة متضاربة في هذه البلاد المترامية الاطراف الواسعة السطح القليلة العمق ، فضلا عن العوامل المادية الاخرى .

واذا اتيح لك ان تتوسع فى هذه النظرة وتتابع دراسة الوضع العام فى امريكا في مختلف النواحي ، فانك عندما تصل الى الادب الأمريكي ، وعندما تصل الى القصة الامريكية ، تجد في طوفان القصص التي لا حصر لانواعها في المجلات والكتب والسينما ـ والراديو وشركات الاعلان بل والمحيط السياسي والدعاية السياسية ـ تجد نماذج رائعة للقصة الواقعية والقصة التحليلية الانسانية بعضها قد قاوم هذا الموج المتلاطم وظل صامداً لعواتيه ، واصبح جزءاً من التراث الفكري العالمي .

وبالنسبة لادب همنكوى فقد تميز هذا الادب بالواقعية ودقة التصوير والحيوية ، الا اننا يجب ان نفهم الواقعية والحيوية في ادب همنكوي والادب الامريكي، على صورة تختلف قليلا عما هو مفهوم عنها في الآداب العالمية الاخرى.

فقد امتاز الادب الامريكي بالواقعية التقريرية التي سادت ذلك الادب بما يشبه الريبورتاجات الصحفية التي تتوخى تقرير الوقائع - بصرف النظر عما يدخل فى هذه الريبورتاجات ، كما هو الغالب ، من عنصر الخيال والاختلاق - وعرض اسبابها ودقائقها ونتائجها . وهذا هو الشكل الذي ظهرت به اغلب الروايات والقصص الامريكية ولا سيما فى القرن الماضي وهذا القرن . وواقعية همنكوي من هذا النوع التسجيلي مع ما في ادب همنكوي من عنصر الابداع والبراعة الفنية الفائقة .

اما الحيوية فهى ناتجة في الادب الامريكي عن طبيعة الشعب الامريكي فى الحركة والصراع مما طبع تأريخ هذا الشعب خلال تكونه فى القرون القليلة الماضية . ومن النادر ان نجد فى الادب الامريكي خيالا هادئاً من النوع المعروف فى الآداب العالمية الاخرى ، ذلك الخيال المستمد من تأريخ طويل واساطير جامعة لذلك التأريخ - ولاسيما القديم منه - واستقرار عميق يعود الى بعد تأريخ الامم الغربية والشرقية .

والى جانب هاتين الناحيتين هناك عنصر الحياة الجماعية البارز فى التأريخ الامريكي والادب الامريكي ، فالمعروف ان حياة الامريكيين تتميز بالفردية المغرقة ، الى جانب نقيضها الطبيعي المتلاحق في كل الفترات معها ، وهو العنصر الجماعي وجهد الجماعات فى الاستكشاف اولا وفي البناء ثانياً .

ولعل فى هذا الذي ذكرناه ايجازاً حتمه ضيق المجال ، الا ان على القاريء الذي يريد ايضاحاً اوفى ، ان يلتمس ذلك في مجال اوسع من هذا ، ويجب ان لا ننسى فى هذا البحث سعة الحياة الامريكية وتعقدها وكثرة العناصر الداخلة فيها كثرة هائلة ، مما اشرنا اليه فى اول هذه الكلمة . ان تذكرنا طرفاً واحداً من الموضوع وهو عنف الصراع المصلحي وتسيبه فى الحياة الامريكية ، يوضح لنا كم يكون الموضوع واسعاً ومعقداً ، وكم يحتاج الى ايضاح وتطويل ودراسة لا يتسع لها هذا المجال .

ونعود الى ادب همنكوي بالذات فننقل مقتطفات من آراء احد الكتاب الامريكيين فيه . (١)

« امدت الحرب الروائيين بمادة وفيرة فالفوا فيها الكثير ولكن تأليف همنكوي احسن ما يمثل حقيقتها . . . اما همنكوي فقد عني بالجندي العائد الى عالم ما بعد الحرب فوجد ان فى هذا العالم باطلا لا يعرف ما هو ولكنه واثق من وجوده . الف عن عالم هؤلاء الذين اغتربوا فى فرنسا ليحاربوا ، ولكنه كان معنياً بالعالم الذي عاد اليه جندي الحرب . واذا جيل لم يقرأ من الرواية التقليدية شيئاً يقرأ ما الف عن الحرب لانه يريد ان يعرفها بكل بشاعتها واملالها ، ويريد ان يعرفها قبل كل شيء ممن خاضوها بالفعل لا من نساء عاصرنها في الشيخوخة .

وكانت الحرب هي المنظر الاساسي الذي دارت حوله احداث روايات همنكوي ، وفي روايته « وداعاً ايها السلاح » نجد معالجة هذا الموضوع

---

(١) فردريك هوفمان استاذ في جامعة وسكنسن .

تصل الى ذروتها النهائية التامة . وذلك انه في مجموعة قصصه « في زماننا » وفى روايته « الشمس تشرق هي ايضاً » قد صور الحرب في ذاتها واثرها ، وعلى ذلك خرجت روايته « وداعاً ايها السلاح» الى قراء مستعدين للمعالجة النهائية لهذا الموضوع . وفي الجزء الذي تدور حوادثه فى كابورتو من تلك الرواية نجد الكاتب يصل الى الذروة التي مهدت لها تآليفه العديدة ، بل تآليف معاصريه ايضاً . . .

لقد صور كرين في هنري فلمنك السخرية التي يحسها عالم ما بعد الحرب ، إذ يقارن بين واقع الحرب والحياة الناعمة الهادئة بمثلها العليا قبلها ، ولكن عبقرية همنكوي في انه اخرج من كل هذا فناً جديداً لم ينتفع من مجرد كون القارىء مستعداً له ، وانما انتفع بتجربته الخاصة ، فاستطاع بفنه الذي اتقنه ودرسه وعاود دراسته فى صبر واناة ان يستنفد كل ما يمكن ان يستنفد من حيوية هذه التجربة وقوتها .

جاء باريس بتجارب امريكي عاش وسط القارة الجديدة ، لا يملك من التجارب او العلم الا تمريناً غير منتظم فى كتابة تقارير للصحف . وكان لحسن الحظ ممن لا يطمئنون الى الملكة الادبية ، حتى ملكته الشخصية لم يعترف بسلطانها . واراد مخلصاً ان يعرف الفرق بين كتابة تقرير وكتابة فن . فاخذ على عاتقه ان يدرس حتى يعرف . وساعده الشاعر ازرا باوند الذي كان يصلح له مسوداته واتصل بجرترودشتين فلقنته الصنعة العظيمة التي اتقنت اصولها ولم تستطع تطبيقها لطفولة عبقريتها . كانت تجارب همنكوي كلها صالحة للفن الذي تصدى له ولكنها لم تأته في صورتها

الادبية لانها لم تكن اكثر من مجرد الحيرة التي عاناها روح صاف جاهل يريد ان يؤقلم نفسه على هذا العالم الجديد ، عالم احالته الحرب الى مجرد قسوة وعقد . . .

ثم ظهرت رواية « وداعاً ايها السلاح » وقد مهدت لها الارض لتكمل ما عرضه في « الشمس تشرق هي ايضاً » . هذا البطل الذي عاش بعد الحرب قد صورت احساساته في الرواية الاولى وجاءت الثانية لا لتفسرها وانما لتحاول ان تؤرخها ، وان تؤرخ العناصر التي داخلتها . وهو يصل في وصف بعض مواقفه الى الذروة الفنية التي لم يصل اليها من قبل ، بل التي لم يصل اليها هو نفسه الا في هذه الرواية ، فوصف التقهقر من كابورتو يعد قطعة فنية خالدة باجماع الآراء ... وتدور حوادث الرواية حول مرافقة الملازم هنري لاسباب غامضة القوات الايطالية . وهو يحس معهم ان مثل الحرب كلها زائفة بشعة ، فيبرأ منها ويجد في حبه عوضاً عنها ، بل يجد فيه ما يسوغ تخليه عن الحرب وتركيز آماله في الحب . واذا به يجد نفسه فجأة لا يملك شيئاً . والمؤلف يحلل باعث الحب واثره منذ بدء الرواية الى آخرها تحليل دارس يريد ان يبرهن على ما يمكن ان يقدمه هذا الباعث من طمأنينة للنفس الهائمة بعد تجربة الحرب . ولعل تأملات البطل وملاحظاته هي التي تسوغ وجود الرواية وتجعل لها كل القيمة . ولكن اسلوب هذه الملاحظات يشعر بما قد اصاب المؤلف . لقد انتابته حمى التحمس لمثل أعلى ولكنه في سبيل ذلك فقد شيئاً من نظرته النفاذة في المعنويات وجزءاً من تماسكه الفني . واذا ابطاله فيما بعد في روايته « لمن تدق الاجراس » وفي

« ان تملك وان لا تملك » بل وفي مسرحياته ونثره غير القصصي يغايرون ابطاله السابقين ...

ان اهم ما قدمه همنكوي انه ثبت مذهب البساطة في الكتابة ، ولكنه استنفد كل ما يمكن لهذا المذهب ان يأتي به من فن جميل ، لقد كان يؤمن بان التجربة نفسها لا يمكن ان تعادلها افكار غامضة وآراء عائمة ، ولكنه ما لبث بعد حين ان مال فيما يؤمن به ... » (١)

هذه آراء في ادب همنكوي ليست دراسة لادب هذا الكاتب بل هي اقرب الى النقد منها للدراسة ، اثبتناها هنا لما فيها من لمحات قليلة عن كتابات همنكوي ورواياته وتطور ادبه .

وبعد فالمختارات التي سيطالعها القارىء فيما يلي ، مختارات بقلم همنكوي نفسه ، فقد اختار هو هذه الفصول التي تكاد تكون قصصاً كاملة بذاتها ، باعتبارها تمثل لب ادبه الروائي ، واذا اتيح لنا الوقت والظروف فسننقل باقي المختارات ، وهي رواية طويلة بعنوان « الشمس تشرق ايضاً » ومجموعة من القصص القصيرة .

عبد المجيد الونداوي

حزيران ١٩٥٥

---

(١) اخذت هذه الفقرات من كتاب « دراسات في الادب الامريكي » المطبوع بمصر وهذه الفقرات من ترجمة الدكتورة بنت الشاطىء .

الورود على قمة التل

فصل من رواية بعنوان

« لمن تدق الاجراس »

السوردو على قمة التل منغمر في قتاله ، ولم يكن يحب هذا التل ، وفكر عندما رآه بانه يشبه القرحة الخبيثة ، ولكن . . لم يكن لديه خيار الا ان يتجه الى هذا التل ، ومن ثم اختاره على ابعد ما كان يمكن ان يراه ، وركض نحوه والبندقية الاوتوماتيكية تثقل ظهره وحصانه مجهد والبرميل مترجرج بين فخذيه ، وكيس القنابل اليدوية مدلى من جانب وكيس الرصاص مدلى من الجانب الآخر وجواكان واكناسيو يقفون ويطلقون النار لحمايته اثناء نقله البندقية الى موضعها الصحيح .

كان الجليد لا يزال باقياً اذ ذاك ، الجليد الذي اوقعهم بالدمار ، وعندما اصيب حصانه نشج فى ترنح بطىء مرتجف مصعداً فى آخر اجزاء النجد رافساً الجليد ، وقد كان سوردو يجذبه باللجام وقد القى اطرافه على كتفيه اثناء تسلقه ، واسرع فى تسلقه بقدر ما يستطيع والرصاص من حوله ، وعلى كتفيه كيسان ثقيلان ، وبعد ذلك وهو يمسك الحصان من عرفه اطلق عليه الرصاص وبيد خبير وبرقة فى المكان المطلوب ، وتدحرج الحصان الى حفرة بين صخرتين . وقد اطلق دفعتين من الرصاص وسقطت اغلفة الرصاص الفارغة على الثلج وظهرت رائحة الشعر المحترق حيث تستند فوهة البندقية الحارة على ظهر الحصان . واضطر المهاجمون الذين تعقبوه على التل على التفرق لحماية انفسهم ، وفى كل هذا الوقت كان يشعر بقشعريرة بين كتفيه فهو لا يعرف ما يكمن خلفه ؛ وعندما بلغ آخر الرجال الخمسة قمة التل ذهبت القشعريرة ، وكان قد وفر الرصاص الباقي لوقت الحاجة .

لقد كان هناك حصانان آخران ميتان على المنحدر وثلاثة ميتة هنا على

القمة ، لقد نجح فى سرقة ثلاثة افراس فقط ليلة البارحة ، انفلت واحد هارباً عندما حاولوا ركوبه بدون سرج فى مربط الخيل عند المخيم ، عندما بدأ اول اطلاق النار .

ومن بين الخمسة رجال الذي بلغوا قمة التل كان ثلاثة قد جرحوا ، سوردو جرح فى كرشة رجله وفى موضعين من يده الشمال ، لقد كان شديد العطش وقد تصلبت جروحه واحدها فى يده الشمال ، كان يؤلمه كثيراً ، كما انه كان يشعر بصداع شديد . واثناء ما كان مستلقياً فى انتظار مجيء الطيارات تذكر نكتة اسبانية ، وهي « يجب ان تتناول الموت كالاسبرين » ولكنه لم يفصح عن هذه النكتة بصوت عال ، وانما ابتسم فى موضع ما داخل آلام رأسه وداخل غثيان النفس الذى يلم به كلما حرك ذراعه ونظر الى ما تبقى منها .

وكان الرجال الخمسة منتشرين كاذرع نجمة خماسية ، وكانوا قد جمعوا بايديهم وركبهم كوماً من القذر والصخور امام رؤسهم واكتافهم ، وكانوا يحتمون بهذه الكوم للوصل بينها ، وكان لجواكان الذي يبلغ الثامنة عشرة من عمره خوذة فولاذية يحفر بها وينقل ما يحفره . كان قد حصل على هذه الخوذة عندما نسفوا احد القطارات ، كانت مثقوبة برصاصة وكان كل من يراه يطاق عليه النكت حول هذه الخوذة ، ولكنه كان قد اصلح الثقب من الداخل وادخل فيه قطعة خشب سواها بحيث اصبحت جزءاً من الخوذة .

وعندما بدأ اطلاق النار جذب هذه الخوذة في رأسه بشدة حتى شعر

بنفسه وكأنه قد ضرب بصحن على رأسه ، وفي آخر سلسلة : وجع الصدر ، الرجل المائتة، الفم الجاف ، الرصاص المتساقط ، الرصاص المخرب ، الرصاص الصافر ، راكضاً في صعود آخر منحدرات التل بعد قتل حصانه ، بدت الخوذة وكأنها تزن اطناناً وكأنها تلطم جبهته المتفجرة بيد من حديد ، ولكنه احتفظ بها ، والآن فهو يحفر بها فى قوة آلية منتظمة ، انه لم يصب حتى الآن . قال له سوردو :

— انها نفعت فى آخر الامر .

فاجابه جواكان وفمه يتشقق من الجفاف والخوف ، الجفاف الذي فاق العطش الاعتيادي فى المعارك ، اجابه بأحد شعاراتهم :

— تمسك ، وحصن ، وبعد ذلك ستنتصر .

ونظر سوردو حوله والى اسفل المنحدر حيث كان احد الفرسان يتقنص خلف احدى الصخور المستديرة . لقد كان معجباً بهذا الفتى ولكنه لم يكن مستعداً لسماع الشعارات .

— ماذا قلت ؟

والتفت احد الرجال من البناء الذي كان يعمل فى اقامته ، وقد كان هذا الرجل منبطحاً على بطنه ، يرفع يديه بالحجارة بعناية ليضعها فى محلها بينما يحتفظ بذقنه ملتصقاً بالارض .

اعاد جواكان الشعار بصوته الجاف الصبياني تاركا عملية الحفر للحظة واحدة . سأله الرجل المنبطح :

— ماذا كانت آخر كلمة ؟

— (فانسير) تنتصر .

— (ميردا) .

— هناك اقوال اخرى ، قالت باسيونارا انه من الافضل ان تموت وانت واقف من ان تعيش وانت راكع .

— مرة اخرى (ميردا) .

وقال رجل آخر من فوق كتفه :

— نحن منبطحون ولسنا راكعين .

وقال احد الرجال الآخرين وقد لف فخذه بضمادة :

— ما دمت تؤمن بهذا القدر بباسيونارا ، دعها تخلصنا من هذا التل .

فقال الرجل المنبطح :

— سيقوم الفاشيست بذلك .

فقال جواكان :

— لا تتكلم هكذا .

وقال الرجل المنبطح :

— امسح بقايا حليب اثداء امك من شفتيك واعطني تراباً بخوذتك ، لن يرى احد منا الشمس تغيب هذا المساء .

وكان سوردو يفكر « انها تشبه القرحة المتعفنة ، او انها تشبه ثدي فتاة شابة بلا حلمة ، او انها تشبه قمة بركان ، انك لم تر بركاناً في حياتك ، ولن تراه في المستقبل وهذا التل يشبه القرحة ، دع البراكين جانباً ، لقد فات وقت البراكين » .

ونظر بعناية حول جثة الحصان الميت وكانت هناك حركة اطلاق نار سريعة من خلف احدى الصخور المستديرة ، تماماً تحت المنحدر ، وسمع الرصاصات تتلاحق من مدفع رشاش وتستقر في جثة الحصان ، وزحف الى الحصان ونظر من الزاوية المشكلة من جزء الحصان الخلفي والصخرة ، لقد كانت هناك ثلاث جثث على المنحدر تحته تماماً سقطت تحت مطر الرصاص الذي صبه الفاشست على التل تحت غطاء من البنادق الاوتوماتيكية والمدافع الرشاشة ، وقد استطاع هو ورفاقه كسر حدة الهجوم بما القوه ودحرجوه من القنابل اليدوية . وقد كانت هناك جثث اخرى لم يكن يستطيع ان يراها فى الجانب الآخر من التل ، ولم تكن هناك ارض صالحة للمهاجمين ليصلوا عن طريقها الى القمة ، وكان سوردو يعرف انه بقدر ما تسعفهم اعتدتهم وبقدر ما يبقى لديه رجاله الاربعة ، فانهم لن يستطيعوا اخذه الا اذا جاءوا بالمورتار « مدفع الهاون» وهو لا يدري اذا كانوا قد ارسلوا الى لا كرانجا بطلب واحد . ربما انهم لم يفعلوا ، لانه من المؤكد ان تأتي الطيارات في وقت قريب ، لقد مضت اربع ساعات منذ ان حلقت فوقهم طائرة الاستطلاع .

« ان هذا التل يشبه القرحة بالتأكيد ، ونحن الصديد الذي فيها ، ولكننا قتلنا كثيراً منهم عندما ابدوا تلك الحماقة ، كيف ظنوا انهم يستطيعون ان ينالونا بهذه الطريقة ؟ ان لديهم اسلحة حديثة الى حد انهم فقدوا عقولهم خلال غرورهم » لقد قتل هو الضابط الشاب الذي قاد الهجوم بقنبلة يدوية ذهبت تتدحرج وتثب هابطة التل اثناء ما كانوا هم

يصعدون ، ومن خلال اللهب الاصفر والدخان رأى الضابط يغوص ليسقط حيث يرقد الآن كحزمة ثقيلة محطمة من الملابس القديمة ترسم آخر خطوط الاعتداء . ونظر سوردو الى هذه الجثة ومن ثم الى الجثث الاخرى تحتها في المنحدر .

« انهم جريئون ولكنهم اناس اغبياء ، لقد استرجعوا الآن ما يكفيهم من العقل لعدم مهاجمتنا حتى تأتي الطائرات ، الا اذا كانوا ينتظرون المورتار ، من السهل الهجوم بمدفع مورتار » ان المورتار هو الشيء المعتاد ، وهو يعرف انهم سيموتون عندما يأتي المورتار ، ولكنه عندما تذكر الطائرات شعر بنفســـه عارياً كما لو انه نزع ملابسه جميعاً ، بل وحتى جلده « ليس هناك من هو اشد عرياً مني وانا افكر بهذا ، ليس هناك فرق بين ارنب مسلوخ ودب ، ولكن ما الذي يجعلهم يأتون بالطائرات ، انهم يستطيعون اخراجنا من هنا بالمورتار بكل سهولة ، انهم فخورون بطائراتهم ، ولكن مع ذلك قد يأتون بها ، كما انهم كانوا فخورين باسلحتهم الاوتوماتيكية عندما ارتكبوا تلك الحماقة ، ولكنهم بلا شك قد ارسلوا في طلب المورتار ايضاً . »

واطلق احد الرجال بندقيته ، وجذب ترباس البندقية واطلق مرة اخرى بسرعة ، فصاح به سوردو :

— وفر عتادك .

— احد ابناء العاهرة حاول الوصول الى الصخرة .

واشار بيده ، فأجابه سوردو وهو يدير رأسه بصعوبة :

— هل اصبته ؟

— لا ، لقد عاد الى الوراء .

وقال الرجل المنبطح :

— انها تعلم اننا نموت هنا .

— انها لا تستطيع شيئاً ، ماذا تستطيع ان تفعل ؟

وكان الرجل يتكلم وفمه قرب اذن سوردو السليمة فلم يكن في حاجة لادارة رأسه ، وقال الرجل :

— تستطيع ان تهاجمهم من الخلف .

— كويهفا ، انهم منتشرون حول جوانب التل ، كيف تصل اليهم ؟ هناك مائة وخمسون منهم وربما اكثر الآن .

وقال جواكان :

— ولكن لو استطعنا الصمود حتى هبوط الظلام .

قال الرجل المنبطح :

— لو جاء عيد الميلاد في الربيع !

واطلق الرجل مرة اخرى .

— لقد اخطأته ايضاً .

— وفر عتادك ولا تتكلم كثيراً والا زاد عطشك ، ليس هناك أي ماء على هذا التل .

وقال له الرجل وهو يتدحرج على جنبه ويسحب وعاءاً جلدياً للنبيذ يعلقه على ظهره وناوله لسوردو :

— خذ هذا ، اغسل فمك ايها العجوز ، يجب ان تكون قد ازددت عطشاً بسبب جروحك .

— دع الجميع يشربون .

— اذن سأشرب أنا اولا .

قال صاحب الوعاء ذلك وهو يدير في فمه جزءاً من النبيذ قبل ان يسلمه لرفاقه ، وقال الرجل المنبطح :

— متى فكرت يا سوردو بان الطائرات ستأتي ؟

— في وقت ما ، كان يجب ان تأتي قبل الآن .

— هل تعتقد بان اولاد الزواني هؤلاء سيهاجموننا مرة اخرى ؟

— اذا لم تأت الطائرات .

ولم يذكر لهم شيئاً عن المورتار ، انهم سيعرفون ذلك حتما عندما يأتي المورتار .

— الله يعلم ان لديهم كثيراً من الطائرات ، مما رأيناه البارحة .

— كثيراً .

اجابه سوردو ، وكان رأسه يؤلمه كثيراً ، وكانت ذراعه تتصلب بحيث ان اية حركة تسبب له ألماً لا يحتمل . ونظر فوقه الى سماء الصيف الباكر الزرقاء العالية اللامعة عندما رفع وعاء النبيذ بيده السليمة ، لقد كان في الثانية والخمسين من عمره ، وفكر بان هذه هي آخر مرة يرى فيها السماء .

لم يكن خائفاً من الموت مطلقاً ، ولكنه كان غاضباً لانه اصطيد في

هذا التل الذي لا تقع فيه الا كمحل للموت ، وفكر في نفسه لو انهم فقط جروهم الى الوادي او لو انهم افلتوا عبر الطريق اذن لنجوا ، « ولكن هذه القرحة المسماة بالتل ، يجب ان نستغل كل ما نستطيع منها ، وقد استغللناها جيداً حتى الآن . »

لو انه عرف كم من الرجال ماتوا على تلال مشابهة لما افاده ذلك كثيراً ، فالانسان لا يهتم في مثل هذه الحالات بما حدث لغيره في نفس الظروف ، الا بقدر ما يفيد ارملة ان تتذكر ان كثيراً من الازواج يموتون ويتركون نساءهم ، وسواء كان الشخص خائفاً من الموت او لم يكن ، فانه من الصعب ان يتقبله بسهولة ، لقد تقبله سوردو ، ولكن لم يكن في تقبله اية حلاوة حتى ولو كان عمره اثنين وخمسين سنة مصاباً بثلاثة جروح ومحاطاً بالاعداء .

اخذ يستذكر النكت حول الموضوع لنفسه ، ولكنه نظر الى السماء والى الجبال البعيدة وبلع النبيذ ولم يكن راغباً فيه ، وفكر « اذا كان على المرء ان يموت ، ولا بد ان يكون ذلك ، فانني استطيع ان اموت ، ولكنني اكره ذلك . »

لم يكن الموت شيئاً بالنسبة له ، ولم تكن لديه اية صورة عنه كما لم يكن لديه خوف منه ، ولكن العيش .... « العيش كان حقلا من الذرة تعصف به الريح على جانب التل ، العيش كان صقراً محلقاً في السماء ، العيش كان حصاناً بين ساقيك وتلا ووادياً وجدولا حوله الاشجار ... »

واعاد سوردو وعاء النبيذ الجلدي وهز رأسه شاكراً ، وانحنى وربت على كتف الحصان الميت حيث احرقت فوهة البندقية الاوتوماتيكية الجلد ،

انه لا يزال يستطيع ان يشم رائحة الشعر المحترق ، وفكر كم امسك بالحصان في ذلك الموضع مرتجفاً ، والرصاص يتساقط حولها ، هامساً ومدمراً حولها كالستار ، وقد اطلق عليه النار بدقة في موضع التقاء الخطوط بين العينين والاذنين ، وبعد ذلك عندما تهافت الحصان التى هو بنفسه خلف جسمه الحار الرطب وقال له في نفسه « انت اكثر من حصان ».

اضطجع سوردو الآن على جنبه السليم ونظر الى السماء ، وكان مضطجعاً على كومة من اغلفة الرصاص الفارغة الا ان رأسه كان محمياً بالصخرة وجسمه وراء جثة الحصان ، كانت جراحه قد تصلبت بصورة سيئة ، وكان يشعر بألم كبير ، وكان يشعر بتعب زائد يمنعه من الحركة . وسأله الرجل المجاور له :

— ماذا بك ايها العجوز ؟

— لا شيء ، انني آخذ بعض الراحة .

— نم ، انهم سيوقظوننا عندما يأتون .

وفي هذه اللحظة اطلق احدهم النار من اسفل التل ، وجاء صوت من خلف احدى الصخور حيث توجد اقرب البنادق الاوتوماتيكية :

— اسمعوا ايها الاشقياء ، سلموا الآن قبل ان تسحقكم الطائرات .

وسأل سوردو :

— ماذا قال ؟

فاخبره جواكان ، فانقلب سوردو الى جانب وجذب نفسه بحيث اصبح خلف بندقيته .

— ربما كانت الطائرات وهماً ، لا تجيبوهم ولا تطلقوا النار ، قد

نستطيع ان نحملهم على مهاجمتنا .

وقال احد الرجال :

— لو اننا هاجمناهم قليلا .

— كلا ، اعطني مسدسك الكبير ، من الذي عنده مسدس كبير ؟

— هذا .

— اعطني اياه .

وربض على ركبته واخذ المسدس الكبير ذو التسع ملمترات واطلق النار على الارض بجانب الحصان وانتظر ، ثم اطلق اربع مرات في فترات غير منتظمة ، ثم انتظر وعد ستين واطلق اطلاقة اخيرة مباشرة في جسم الحصان وابتسم واعاد المسدس لصاحبه .

— املأه وليبق كل واحد فمه مسدوداً ولا تطلقوا .

وصاح احدهم من وراء الصخور « ايها الاشقياء . » فلم يجبه احد ، فصاح :

— ايها الاشقياء سلموا الآن قبل ان نمزقكم قطعاً .

وقال سوردو :

— انهم يعضون النواجذ .

وبينما كان يتطلع اطل احدهم برأسه فوق احدى الصخور ، فلم يطلق احد من قمة التل ، واختفى الرأس مرة اخرى ، وانتظر السوردو متطلعاً ولكن لم يحدث شيء آخر ، والتفت الى الآخرين فوجد ان كلا منهم ينظر الى قطاعه من المنحدر ، وبينما هو ينظر اليهم هز كل واحد رأسه ، فهمس :

— لا يتحرك احد منكم .

وجاء صوت من وراء الصخور :

— ابناء الزواني..

وارتفع الصوت مرة اخرى :

— ايها الخنازير ، يا .. امهاتكم ، يا شاربي حليب آبائكم .

وابتسم سوردو ، انه يستطيع ان يسمع الشتائم بسهولة بمجرد ان يدير اذنه السليمة «هذا خير من الاسبرين ، على كم واحد منهم سنقع ؟ هل هم بهذه الحماقة ؟» وتوقف الصوت مرة اخرى ولمدة ثلاث دقائق لم يسمعوا شيئاً ولم يروا اية حركة ، وبعد ذلك قام الرجل المختفي خلف الصخرة المستديرة على بعد مائة ياردة اسفل المنحدر واطلق النار ، واصابت الرصاصة احدى الصخور . وبعد ذلك حبا وهو يعوي عواء حاداً ، وبعد ذلك رأى سوردو رجلا منحنياً مرتين حول نفسه يركض من الصخور التي تكمن وراءها البندقية الاوتوماتيكية الى الصخرة المستديرة والقى بنفسه بقوة وراء تلك الصخرة . وادار سوردو نظره حوله ، فاشـــار اليه الآخرون بعدم وجود حركة امامهم ، وابتسم السوردو منتشياً وهز رأسه « هذا خير عشر مرات من الاسبرين » وانتظر بحبور لا يضارعه الا حبور الصياد .

وكان الرجل الذى قفز الى الصخرة المستديرة يتكلم الى الرجل الذي خلفها :

— هل تصدق ذلك ؟

— لست ادري بالضبط ؟

وقال الضابط الذي يقودهم :

— انه امر منطقي ، انهم محصورون ، وهم لا يتوقعون غير ان يموتوا .

فلم يجب الآخر .

— ماذا تعتقد انت ؟

— لا شيء .

— هل رأيت اية حركة منذ تلك الاطلاقات ؟

— ولا حركة .

ونظر الضابط الى ساعة يده ، لقد كانت الثالثة الا عشر دقائق .

— كان يجب ان تأتي الطائرات قبل الآن بساعة . وفي تلك اللحظة قفز نحوهما ضابط آخر وتحرك القناص ليفسح له مكاناً . وقال الضابط الاول :

— انت يا باكو كيف يبدو لك الوضع ؟

كان الضابط الآخر يتنفس بسرعة من اثر القفزة .

— بالنسبة لي انها حيلة .

— فاذا لم تكن كذلك ؟ كم يكون مضحكا ان نبقى هنا محاصرين جثث اموات .

— لقد فعلنا امراً اسوأ من الوقوف موقفاً مضحكا ، انظر الى ذلك المنحدر .

ونظر الى حيث الجثث المتفرقة قرب القمة وكانت هناك صخور منتشرة

وسيقان بارزة وحوافر مرتفعة وحصان سوردو وبناء التراب . وقال الضابط الثاني :

— وماذا عن المورتار ؟

— انها ستأتي خلال ساعة ، ان لم يكن اقل .

— اذن انتظرها ، لقد ارتكبنا حماقات كافية .

وانتصب الضابط الاول على قدميه وصاح فجأة :

— ايها الاشقياء ايها الخنازير ، ايها الجبناء !

ونظر الضابط الثاني الى القناص وهز رأسه ، ونظر القناص بعيداً وزم على شفتيه . ووقف الاول هناك ورأسه بارز تماماً من الصخرة ويده على مسدسه والقي اللعنات والشتائم على قمة التل ، ولم يحدث شيء ومن ثم خطا بعيداً عن الصخرة ووقف ينظر الى قمة التل .

— اطلقوا ايها الجبناء اذا كنتم احياء ، اطلقوا على شخص ليس لديه اي خوف من اي احمر خرج من بطن عاهرة .

وكانت الجملة الاخيرة اطول من ان تكون محلا للصراخ فاحتقن وجهه واحمر احمراراً شديداً عندما انتهى من صراخه ،

وهز الضابط الثاني رأسه مرة اخرى ، وقد كان نحيفاً لوحته الشمس له عينان هادئتان وفم رفيع طويل الشفاه وآثار لحية على خديه الاجوفين . لقد كان الضـــابط الذي يصرخ هو الذي امر بالهجوم الاول ، وقد كان الملازم الذي قتل في اعلا المنحدر اخلص اصدقاء الملازم الآخر المسمى

باكو بيريندو والذي كان يصغى الى صياح الرئيس (١) الذي كان — بصورة واضحة — فى حالة غرور .

— هؤلاء هم الخنازير الذين قتلوا اختي وامي .

وكان له وجه احمر وشاربان اشقران على الطريقة الانكليزية ، وقد كان هناك خطأ ما في عينيه ، كانتا زرقاوين فاتحتين وكانت احداهما فاتحة ايضاً ، واذا نظرت اليهما خيل اليك انهما تركزان نظرهما ببطء . وصاح مرة اخرى « حمر ! » و « جبناء ! » وبدأ يلعن من جديد .

ووقف الآن مكشوفاً تماماً ناظراً بدقة واطلق مسدسه على الهدف الوحيد الظاهر في قمة التل وهو جثة حصان سوردو ، واثارت الرصاصة غبارة على مسافة خمس عشرة ياردة ، واطلق الرئيس مسدسه مرة اخرى فأصابت الرصاصة صخرة وارتدت . ووقف الرئيس هناك ينظر الى قمة التل ، وكان الملازم بيريندو ينظر الى جثة الملازم الآخر قرب قمة التل ، وكان القناص ينظر الى الارض تحت عينيه ، ثم رفع نظره الى الرئيس ، وقال الاخير :

— ليس هناك احد حي .

واشار الى القناص :

— انت ، اذهب الى هناك وانظر .

ونظر القناص الى اسفل ولم يقل شيئاً .

— الم تسمعني ؟

(١) الرئيس رتبة فى الجيش تعادل « الكابتن » فى الجيوش الغربية .

— نعم يا رئيس .

— اذن قم واذهب .. الا تسمعني ؟

— نعم يا رئيس .

— اذن لماذا لا تذهب ؟

— لا اريد يا رئيس .

— لا تريد ذلك .. ؟

واقحم مسدسه في ظهر القناص :

— لا تريد ذلك .. ؟

— انني خائف يا رئيس .

وظن الملازم بيريندو وهو ينظر الى وجه الرئيس وعينيه الشاذتين انه سيطلق النار على الجندي ، وقال له :

— رئيس مورا ؟

— ملازم بيريندو ؟

— ربما كان الجندي مصيباً .

— مصيباً في قوله انه خائف ؟ مصيباً في رفضه اطاعة الاوامر ؟

ـ كلا ، قد يكون مصيباً في انها حيلة .

ـ انهم كلهم اموات ، الا تسمعني اقول ذلك ؟

ـ تقصد رفاقنا فى اعلا المنحدر ؟ انني اتفق معك !

ـ باكو .. لا تكن احمق ، اتعتقد انك الوحيد الذي يعنيه جوليان ؟ انني اقول لك ان الحمر قد ماتوا ، انظر .

ووقف منتصباً ووضع يديه جميعاً على الصخرة وجذب جسمه الى اعلاها ووقف فوقها صارخاً « اضربوا ! » ولوح بكلتا يديه « اضربوني . . اقتلوني » .

وفي القمة اضطجع السوردو وراء الحصان الميت وابتسم ، وفكر « أي جنس من الناس ؟ » وضحك محاولا حبس صوته لأن الاهتزاز آلم يده . وجاء الصوت من اسفل :

ـ ايها الحمر . . اطلقوا علي ، اقتلوني . .

ورفع سوردو رأسه قليلا وهو يهتز من الضحك وراء الحصان ورأى الرئيس فوق الصخرة يلوح بيديه ، ووقف ضابط آخر الى جانب الصخرة وكان القناص يقف في الجانب الآخر . وثبت سوردو نظره حيث كان وهز رأسه فرحاً . واعاد الفاظ الرئيس هامساً وهو يضحك وآلمته ذراعه . وهبط الرئيس مورا من الصخرة :

ـ والآن الا تصدقني يا باكو ؟

ـ كلا .

ـ ليس هنا إلا مغفلون وجبناء .

وكان القناص قد عاد الى الاحتماء بالصخرة وجاء الى جانبه الملازم . وبدأ الرئيس وهو بجانب الصخرة بالصراخ من جديد . ليس هناك لغة مملوءة بالسباب كالاسبانية ، كانت هناك كلمات تقابل الكلمات الانكليزية ، كما كانت هناك كلمات وتعابير لا تستعمل الا في البلاد المتعصبة ، وكان الملازم بيريندو كاثوليكياً متعصباً ، وكذلك كان القناص ، كانا من

الـكارلستيين من نافارا وهما يشتمان ويلعنان بشدة عندما يكونان في حالة الغضب ، ولـكنهما يعتبران ذلك خطيئة يجب ان يدخلاها في الاعتراف الـكنسي .

وبعد ان زحفا خلف الصخرة يراقبان الرئيس ويستمعان الى ما يقوله ، تبرءا الى نفسيهما منه ومما يقوله ، لم يكونا يرغبان في اثقال ضميريهما بهذه الخطايا في يوم قد يموتان فيه . وفـكر القناص ان هذه الالفاظ تجلب النحس ، ان هذا يتكلم اسوأ من الحمر .

وكان بيريندو يفـكر ، جوليان قد مات ، هناك على المنحدر فى مثل هذا اليوم المنحوس وهذا الاحمق يقف هناك يطلق اللعنات ليجلب مزيداً من النحس . وكان الرئيس قد توقف عن الشتم واللعن والتفت الى الملازم وعيناه على اغرب ما تكونان فى اي وقت مضى ، وقال فرحاً :

ـ باكو ، سنذهب انا وانت الى هناك .

ـ لست انا الذي اذهب .

ـ ماذا . . ؟

وكانت يده على المسدس ، وفـكر بيرندو « انني اكره هؤلاء الذين لا يستطيعون اصدار امر الا وايديهم على مسدساتهم ، ربما كانوا يسحبون مسدساتهم فى المراحيض ايضاً ليأمروا انفسهم . ! »

ـ سأذهب اذا كنت تأمرني ، ولـكنني احتج .

ـ اذن سأذهب وحدي ، ان رائحة الجبن قوية جداً هنا .

وسحب مسدسه وذهب يخطو بثبات الى اعلا التل ، واخذ بيرندو

والقناص برقبانه ، لم يحاول ان يحمي نفسه وركز نظره امامه على الصخور وجثة الحصان والتراب المكوم . وقبع سوردو خلف الحصان يراقب الضابط يتسلق الى القمة . وفكر « واحد فقط ؟ ولكن الظاهر من لهجته انه القائد ، انظر اليه فى مشيته ، حيوان ، انظر الى خطواته ، هذا لي ، سآخذه معي فى رحلتي ، انه سيسير فى نفس اتجاهي ، هيا يا رفيق رحلتي ، هيا سريعاً ، هيا سريعاً لتقابلني ، هيا ، استمر فى السير ، لاتبطىء انظر ، ان له شاربين ، ماذا تظن بهذا ، انه يطلق شاربيه ، رفيق رحلتي ، انه رئيس ، انظر الى نجومه ، لقد قلت انه القائد ، ان له وجهاً انكليزياً وجهاً احمر وشعراً اشقر وعينين زرقاوين وشاربين اصفرين ، عينين زرقاوين ، زرقاوين فاتحتين ، هناك خطأ ما فيها ، اقترب اكثر ، اقترب اكثر يا رفيق رحلتي ، خذ هذا يا رفيق رحلتي . »

وضغط على الزناد بخفة ، وضربت البندقية الاوتوماتيكية كتفه ثلاث مرات ، وسقط الرئيس على وجهه ويده اليسرى تحته ، ويده اليمنى الممسكة بالمسدس ممدودة الي الامام قرب رأسه ، وانصب الرصاص من الاسفل على جوانب التل كلها .

وفكر الملازم بيريندو وهو يزحف خلف الصخرة المستديرة ان عليه الآن ان يقفز عبر المنطقة المكشوفة تحت النار ، وسمع صوت سوردو العميق الخشن من اعلا التل :

ـ ايها الاشقياء اضربوني . اقتلوني !

وهز رأسه مبتهجاً ، وفكر « لدينا رفاق كثيرون فى رحلتنا »

وصاح مبتهجاً مرة اخرى :

ـ ايها الاشقياء .. اقتلوني ايها الاشقياء !

وكان يضحك حتى آلمه صدره ، وتصور ان رأسه سوف ينفجر . انه سيجرب هذه المرة فى الضابط الآخر عندما يقفز نحو بندقيته الاوتوماتيكية « انه سيذهب الى هناك عاجلا او آجلا » كان سوردو يعرف انه لن يستطيع القيادة من وراء هذه الصخرة المستديرة ولذلك فان لديه فرصة كبيرة لاصابته .

وفي هذه اللحظة سمع الآخرون على التل اول صوت للطائرات القادمة ، ولم يسمعها السوردو ، كان موجهاً بندقيته نحو جوانب الصخرة المستديرة وكان يفكر « عندما اراه يكون قد انطلق راكضاً وسأخطئه اذا لم انتبه ، انني استطيع ان اطلق النار خلفه فى خط مستقيم ، يجب ان ادير البندقية معه وامامه ، او اتركه ينطلق فاصيبه ، سأحاول ان اصطاده بجانب الصخرة تماماً وادير البندقية تماماً امامه » وبعد ذلك شعر بلمسة على كتفه فادار رأسه ورأى وجه جوا كان البني الممتلىء خوفاً ، وادار نظره مع اشارة الفتى ورأى الطائرات الثلاث .

وفي هذه اللحظة انطلق الملازم بيريندو من خلف الصخرة المستديرة ، وركض نازلا ورأسه محني وساقاه تضطربان واتجه نحو الصخور التي تكمن وراءها البندقية الاوتوماتيكية ، ولم يره سوردو اثناء تطلعه الى الطائرات .

ـ ساعدني فى جذب هذا .

واعانه جوا كان فى سحب البندقية الاوتوماتيكية ، وكانت الطائرات تقترب شيئاً فشيئاً ، وبعد كل ثانية تقترب اكثر فتبدو اكبر ويرتفع صوتها.

استلقوا على ظهوركم واطلقوا النار عليها اطلقوا امامها وهي تأتي . اكناسيو .. ضع البندقية على ظهر الفتى ، وانت يا جوا كان اجلس هناك ولا تتحرك ، ازحف قليلا .

واستلق على ظهره وراقب الطائرات وهي تقترب .

ـ انت . . اكناسيو . . امسك لي ارجل البندقية الثلاث . وكانت تتدلى من ظهر الفتى وكانت الماسورة ترتجف من حركة جسمه الذي لم يستطع جوا كان السيطرة عليه ، وكان اكناسيو منبطحاً على بطنه ورأسه مرتفع يراقب الطائرات ، وامسك بارجل البندقية الثلاث بيديه الاثنتين وثبتها ، وقال سوردو لجوا كان :

ـ ابق رأسك منخفضاً وابقه الى الامام .

وانطلق جوا كان قائلا :

ـ يا لماري العظيمة ، ايتها الرحيمة ، الله معك ، انت المباركة بين النساء ، ومبارك نتاجك عيسى ، ماري المقدسة ، صلي من اجلنا نحن المذنبين الآن وفى ساعة موتنا ، آمين ، ماري المقدسة .

وتذكر سريعاً عندما بلغت زمجرة الطائرات حدها «اوه يا الهي . . انني آسف لما ارتكبته بحقك وانت الذي تستحق حبي .. » وهنا ارتفعت انفجارات مدمرة خلال اذنيه وشعر بالبندقية حارة بين كتفيه ، واصمت اذنيه اصوات انطلاق الماسورة ، وكان اكناسيو يجذب بشدة وكلما

تذكره « عند ساعة موتنا » كلمة « آمين » ، « عند ساعة الموت ، آمين ، عند ساعة ، عند ساعة ، آمين ، الجميع يطلقون النار ، الآن وعند ساعة موتنا ، آمين » .

وخلال هزة البندقية ، ملأ اذنه صفير الهواء وتدحرجت الارض تحت ركبته خلال الزمجرة الحمراء السوداء وتموجت الارض لتلطمه على وجهه ، وكانت قطع التراب والصخور تتساقط في كل مكان . وكان احدهما ساقطاً على الآخر والبندقية عليها ، ولكنه لا يزال حياً فالصفير لا يزال يملأ اذنيه ، وتدحرجت الارض تحته مرة اخرى ، وارتفع جانب من التل فى الهواء وتساقط شيئاً فشيئاً عليهم حيث هم مستلقون ، ورجعت الطائرات ثلاث مرات وقصفت قمة التل ، وحصدت الرشاشات التل بالرصاص وذهبت الطائرات ، وبعدما غاصت نحو التل لآخر مرة ، ارتفعت الطائرة الاولى فى زاوية حادة وتبعتها الاثنتان الاخريتان وشكلت الثلاث (٧) واتجهت نحو السماء في اتجاه سيكوفيا .

وكان الملازم بيريندو قد ارسل دورية صعداً اثناء الاطلاق الكثيف من النار على قمة التل الى حيث يستطيعون قذف القنابل اليدوية على القمة . ولم يكن يترك فرصة بقاء احد منهم حياً والقى اثناء ما كان منتظراً فى فوضى التراب اربع قنابل يدوية الى حيث جثث الخيل الميتة ، وانفجرت القنابل واثارت الصخور والتراب . . ثم بدأ يتسلق ليلقى نظرة على ذلك الموضع . .

لم يكن قد بقي حياً على قمة التل الا الفتى جوا كان وكان فاقداً الوعي تحت جثة اكناسيو ، وكان جوا كان ينزف من انفه واذنيه ، ولم يعرف شيئاً ولم يحس بشيء منذ ان كان فجأة في وسط الرعد .. ورسم الملازم بيريندو اشارة الصليب واطلق النار على مؤخرة رأسه بسرعة وبهدوء كما اطلق سوردو النار على حصانه .

وقف الملازم بيريندو على قمة التل ونظر الى المنحدر الى امواته وبعد ذلك عبر الحقول حيث تعقبوا سوردو قبل ان يلتجيء الى هنا ، ولاحظ اضطراب مواقع الجنود ، وامر بعد ذلك بنقل الجثث وربطها الى السرج لتنقل بعدئذ الى لا كرانجا .

ـ خذوا ذلك ايضاً .. ذلك الذي يضع يده على البندقية الاوتوماتيكية ، انه ولا شك سوردو ، كلا كلا ، اقطعوا الرأس ولفوه في العباءة .

وفكر لحظة :

ـ يمكنكم اخذ الرؤوس جميعاً ، واولئك الذين على المنحدر وحيث وجدناهم اول مرة ، اجمعوا البنادق والمسدسات ، وضعوا هذه البندقية على حصان .

وهبط الى حيث جثة الضابط الاول الذي قتل في بداية المعركة ، ونظر اليه ولكنه لم يلمسه ، وقال لنفسه « ما اسوأ الحرب .. » ورسم علامة الصليب واثناء ما كان هابطاً صلى من اجل رفيقه الميت ، ولم يكن راغباً في البقاء ومتابعة تنفيذ الاوامر التي القاها ..

شحنة الى كوبا

فصل من رواية بعنوان

« ان تملك   ان لا تملك »

كان البرت على سطح الزورق وقد تم ملء خزان الوقود ، وقال هاري :

ـ سأشغلها الآن واجرب هاتين الاسطوانتين (١) ، هل تم تنضيد الاشياء ؟

ـ نعم .

ـ قطع الطعم اذن .

ـ هل تريد طعماً عريضاً ؟

ـ اجل ، للتربون (٢) .

كان البرت على مؤخرة السفينة يقطع الطعم ، وكان هاري بجانب الدواليب يحمي الموتور عندما سمع ضوضاء كصوت موتور يحترق ، ونظر الى الشارع تحته ورأى رجلا يخرج من بناية البنك ، كان الرجل يحمل مسدساً في يده وقد جاء راكضاً ، وبعد ذلك اختفى عن نظره ، وخرج رجلان آخران يحملان حقيبتين جلديتين ومسدسين وركضا فى نفس الاتجاه ، ورأى هاري ان البرت مشغول فى تقطيع الطعم . وخرج الرجل الضخم ، من باب البنك يحمل بندقية « تومبسون » امامه وحالما خرج من الباب انطلقت صفارة البنك في صوت طويل حاد ورأى هاري ماسورة البندقية ترتفع وترتفع وترتفع وسمع «بوب.بوب بوب» اصواتاً قصيرة وعميقة تختلط بصوت الصفارة ، ودار الرجل وركض وكان يقف بين حين وحين ليطلق

---

(١) الاسطوانة أو السلندر هى الجزء الرئيسي من الماكنة .

(٢) التربون سمك فضي يعيش في سواحل امريكا الوسطى وفلوريدا .

النار على باب البنك ، وبينما وقف البرت قائلا « وحق المسيح ، انهم يسرقون البنك ، وحق المسيح ماذا نستطيع ان نعمل ؟ » سمع هاري صوت السيارة الفورد وهي تدور حول زاوية الشارع ورآها تتجه نحو المرفأ صاعدة ، وقد كان فيها ثلاثة من الكوبيين في المقعد الخلفي وواحد الى جانب السائق ، وصاح احدهم بالاسبانية :

ـ اين الزورق ؟

واجاب آخر ·

ـ هذا هو ايها الغبي ·

ـ هذا ليس هو ·

ـ ذلك هو القبطان ·

ـ تعال ، تعال بحق المسيح ·

وصرخ الكوبي فى وجه السائق :

ـ اخرج وارفع يديك ·

وبينما وقف السائق بجانب السيارة اخرج الكوبي سكينه وقطع حزامه وانزل سرواله وقال له « قف ولا تتحرك » ·

ورمى الكوبيان اشياءهما فى الزورق ودخلا فيه ، ووضع الرجل الضخم بندقيته الاوتوماتيكية بين كتفي هاري وقال له :

ـ شغل الماكنة ·

وصاح برفيقه :

ـ تعال كابي ، دعنا نذهب ٠

وقال هاري :

ـ مهلا مهلا ، ضع بندقيتك في اتجاه آخر ٠

وصاح الرجل الضخم بالبرت :

ـ الق هذا من يدك ، انت هناك ٠٠

وقال البرت لهاري :

ـ تمهل قليلا ، لا تشغل الماكنة ، هؤلاء هم سراق البنك ٠

ودار الرجل الضخم ووجه بندقيته الاوتوماتيكية نحو البرت وقال :

ـ هيه ٠ لا تشغلها ؟

فاجاب البرت ٠

ـ كلا ٠

وكانت فوهة البندقية قريبة من صدره بحيث مزقته الرصاصات تمزيقاً فظيعاً ، وخر البرت على ركبتيه وعيناه متسعتان وفمه مفتوح وكأنه لا يزال يقول « كلا » ٠ ثم قال الرجل الضخم :

ـ انت لا تحتاج الى رفيق ، انت يا ابن العاهرة ذا الذراع الواحدة ٠

ثم قال بالاسبانية :

ـ اقطع تلك الخطوط بسكينة السمك ٠

وبالانكليزية :

ـ دعنا نذهب ٠

وبالاسبانية :

- ضع مسدسك فى ظهره .

وبالانكليزية :

- هيا دعنا نذهب ، سألهب رأسك بالرصاص .

فاجاب هاري :

- سنذهب حالا .

وكان احد الكوبيين الذي يشبه الهنود قد امسك بمسدسه قريباً من جنبه تجاه يده المصابة ، واثناء ما كان يدير الدواليب نظر الى المؤخرة ليرى الطريق خلال الاشياء المكومة ، وشاهد البرت على ركبتيه وقد سقط رأسه الى جانب ، وكانت على المرفأ سيارة الفورد والسائق البدين في البسته الداخلية وسراويله متجمعة حول عقبيه رافعاً يديه الى اعلا وفاتحاً فمه مثل البرت ، ولم يكن هناك احد في الشارع . ومرت ركائز المرفأ اثناء خروج الزورق من الحوض ، وبعدها اصبح فى عرض القنال واجتاز مرفأ المنار .

وصاح الكوبي الضخم :

- هيا ، اسرع بنا ، لا تضيع الوقت .

- ابعد هذا المسدس عني .

وفكر هاري فى امكان تسيير الزورق على عمود سمك الغراب ، ولكنه خاف الكوبي القاسي الذي صاح به :

- دعه يسرع .

ثم تكلم بالاسبانية :

ـ انبطحوا في القعر وراقبوا القبطان .

وانبطح هو على مؤخرة الزورق وجذب البرت والقاه في القعر ، وكان الثلاثة الآخرون قد انبطحوا فعلا في القعر ، وكان هاري وهو يمسك بالدفة ينظر الى الامام والزورق يخرج من القنال عبر المدخل الى البحر وهناك تنبيه للسفن والزوارق بالابتعاد عن الرصيف ، واجتاز القلعة فنظر هاري الى الخلف ووجد الكوبي الضخم يخرج كيس الرصاص الاخضر ويملأ خزانات بندقيته الاوتوماتيكية التي كانت ملقاة الى جانبه ومن دون ان ينظر الى يديه اللتين كانتا تعملان باللمس ، والآخران كانا ينظران الى الامام عدا الرجل الذي كان يراقبه ، وكان هذا الذي يشبه الهنود قد اشار اليه بمسدسه ان ينظر الى الامام ، ولم يخرج زورق حتى الآن في اعقابهم ، وكانت الماكنة تشتغل بهدوء مع التيار ، ولاحظ الطوافات المائلة في فم القنال وحلقات الموج تصطفق باسافلها .

وقد فكر هاري « هناك زورقان سريعان يستطيعان اللحاق بنا ، احدهما زورق راي الذي يحمل البريد من ميتكمب ، ولكن اين الآخر ؟ لقد شاهدته منذ يومين في ايد » وتذكر اثنين آخرين احدهما تابع لدائرة الاشغال والآخر محمل في كاريسون بايت . « كم نبعد الآن ؟ » ونظر خلفه الى القلعة التي ظهرت بموازاة المؤخرة وقد بدأت بناية البريد الحمراء تبدو من فوق بنايات البحرية والفندق الاصفر يحجب افق المدينة وهناك الخليج الصغير قرب القلعة والمنار البارز فوق الدور ، وفكر ان المسافة اصبحت اربعة اميال ، ها هم جاءوا فقد كان هناك زورقا صيد يضاوان يتجهان

نحوهما ، انهما لا يستطيعان الاسراع ، مع الاسف . وكان الكوبيون يثرثرون بالاسبانية ، والتفت اليه الكوبي الضخم من المؤخرة وسأله :

ـ كم هي سرعتك ايها القبطان ؟

ـ اثنا عشر تقريباً .

ـ وكم سرعة هذين الزورقين ؟

ـ ربما عشرة .

كان الجميع يراقبون الزورقين حتى ذلك الذي وضع لمراقبته ، « ولكن ماذا عساي استطيع ان افعل ؟ » واجاب هاري نفسه ، « لا شيء بعد » ولم يقترب الزورقان شيئاً .

وقال احسنهم لفظاً :

ـ انظر الى هناك ، روبرتو .

ـ اين ؟

ـ انظر .

وبعيداً جداً ظهرت بقعة من على سطح الماء .

ـ انهم يطلقون النار علينا ، انهم يعبثون .

ـ بحق المسيح أعلى بعد ثلاثة اميال ؟

وفكر هاري انها اربعة اميال لا ثلاثة ، وكان يرى البقع المرتفعة من الماء بعيداً ولكنه لم يستطع ان يسمع صوت الطلقات ، وفكر بأنهم يستحقون الشفقة ، انهم مضحكون ، وسأله ذو الوجه الكبير :

ـ ما هنالك من زوارق الحكومة ايها القبطان ؟

ـ سلاح السواحل .

ـ ما سرعتها ؟

ـ ربما اثنا عشر .

ـ فموقفنا اذن حسن .

فلم يجب هاري ، انهم بعد عشر دقائق سيجتازون الشعب الصخري .

ـ ماذا بك ، الا تستطيع التكلم ؟

ـ ماذا سألتني ؟

ـ هل هناك من يستطيع اللحاق بنا الآن ؟

ـ طائرة حرس السواحل .

ـ لقد قطعنا خطوط التلفون في المدينة عند مجيئنا .

ـ هل قطعت اللاسلكي ايضاً ! ؟

ـ هل تعتقد انهم يستطيعون اللحاق بنا هنا ؟

ـ هناك فرصة حتى حلول الظلام .

ـ وماذا تعتقد انت ايها القبطان ؟

فلم يجب هاري .

ـ هيا ، ماذا تعتقد ؟

ـ لماذا تركت ابن العاهرة يقتل رفيقي ؟

وكان يوجه خطابه الى ذي اللغظ الحسن الذي كان يقف بجانبه ينظر الى البوصلة ، واجاب روبرتو :

ـ صه ، نقتلك انت ايضاً .

ـ كم معك من النقود ؟

ـ لا ندري ، لم نعد النقود حتى الآن ، انها ليست ملكنا على كل حال .

ـ ظننت ذلك .

وكان هاري متجهاً الى هافانا .

ـ اقصد اننا لم نفعل ذلك لاجلنا نحن وانما لاجل منظمة ثورية .

ـ وهل قتلت رفيقي لاجل هذا ايضاً ؟

ـ انني آسف جداً ، لا استطيع ان اعبر لك عما اشعر به من اسى لذلك .

ـ لا تحاول .

ـ انت ترى ان هذا الشخص روبرتو شرير ، فهو ثوري ممتاز ولكنه رجل شرير ، وهو يقتل كثيراً حتى يعتاد على القتل ، وهو يعتقد ان القتل نوع من المزاح وهو يقتل لهدف حسن بطبيعة الحال ، احسن الاهداف .

ونظر الى روبرتو خلفه وقد جلس فى احد مقاعد الصيد في المؤخرة والبندقية الاوتوماتيكية في حضنه ، ونظر هاري خلفه الى الزوارق البيضاء فرآها اصغر من قبل ، وصاح روبرتو من المؤخرة :

ـ ماذا تشرب ؟

ـ لا شيء .

ـ سأشرب انا اذن .

وكان احد الكوبيين مستلقياً على الكرسي الموضوع فوق خزان

الوقود وقد بدا عليه دوار البحر ، وكان الآخر قد اصيب فعلا بالدوار ولكنه كان لا يزال جالساً .

ونظر هاري الى الخلف فرأى زورقاً بلون الرصاص يترك القلعة لاحقاً بالزورقين الاولين ففكر لنفسه « هذا هو زورق سلاح السواحل وهو يستحق الشفقة ايضاً . » وسأله ذو اللفظ الحسن :

ـ هل تعتقد ان الطائرة البحرية ستأتي ؟

ـ سيهبط الظلام خلال نصف ساعة . ماذا تفكر ، هل تفكر في قتلي ؟

ـ لا اريد ذلك ، انني اكره القتل .

وسأل روبرتو الذي كان جالساً وبين يديه زجاجة الويسكي :

ـ ماذا تصنع ؟ تصادق القبطان ، ماذا تريد ان تفعل ، تتعشى على مائدته ؟

ـ خذ الدفة ، لاحظ الاتجاه ، مائتين وخمسة وعشرين .

قالها هاري ونهض ومط جسمه وسار وقال لروبرتو :

ـ اعطني قليلا من الشراب ، هذا هو زورق سلاح السواحل ولكنه لن يصل الينا .

وقد ترك هاري جانباً غضبه وحقده وكل ما يتصل بالكرامة ويعتبر « ترفاً » بالنسبة للخطة التي وضعها . واجاب روبرتو :

ـ ذلك اكيد ، انه لا يستطيع ان يصل الينا ، انظر الى هؤلاء الاطفال المصابين بدوار البحر ، ماذا تقول ؟ تريد شيئاً من الشراب ؟ هل لك رغبات اخرى اخيرة ايها القبطان ؟

ـ انك تمزح .
ـ لا تهتم ، هذا كل ما هنالك .
ـ لدي كمية اخرى ، لقد كنت امزح معك .
ـ لا تمزح معي ، ماذا معك ؟
ـ باكاردي .
ـ اخرجه اذن .
ـ تمهل ، لماذا تكون خشناً بهذا الشكل ؟
وخطا فوق جثة البرت وعندما وصل الى الدواليب نظر الى البوصلة ، لقد كانت البوصلة مضطربة والاتجاه منحرفاً وقال هاري لنفسه « انه ليس بملاح وهذا يساعدني من جهة الوقت ، انظر الى اثر الزورق في الماء . »
لقد كان اثر الزورق المزبد ينفلت بانحنائين محبيين الى جهة الضياء ، وقد اختفت الزوارق تقريباً عن النظر وهو لا يرى الآن الا جزءاً ضئيلا من المدينة ، وكانت الماكنة تعمل بخفة ، وانحنى هاري وامسك باحدى زجاجات الباكاردي وذهب بها الى المؤخرة وتناول جرعة منها ، ثم ناولها الى روبرتو ، ونظر وهو واقف الى البرت واحس بالم في داخله ، وقال في نفسه : « مسكين » وقال له الكوبي الكبير الوجه :
ـ ما الامر ، هل اخافك ؟
ـ لماذا لا نلقيه بعيداً ، هل من المنطق ان نحمله معنا ؟
ـ حسناً ، لك منطق لا بأس به .
ـ احمله من يديه وسأحمل انا الرجلين فالقى روبرتو البندقية جانباً على

سطح المؤخرة الواسع وانحنى وحمل الجثة من الـكتفين وقال :

ـ انت تعلم ان اثقل شيء فى العالم هو جثة الميت ، هل سبق لك ان حملت جثة قبل الآن ايها القبطان ؟

ـ كلا ، هل سبق لك ان حملت امرأة ميتة ؟

ـ وجذب روبرتو الجثة رافعاً اياها فى اتجاه المؤخرة .

ـ انك شخص صلب ، ماذا تقول فى الشرب معاً ؟

ـ استمر ..

ـ اصغ .. انا آسف لقتلي اياه ، وعندما اقتلك اشعر باسى اشد ..

ـ اترك الحديث بهذا الشكل ، ماذا تقصد بذلك ؟

ـ هيا ، سيذهب سريعاً .

وبينما كان الرجلان ينحنيان ويلقيان بالجثة من حافة المؤخرة ، فى نفس الوقت الذي سقطت فيه الجثة فى الماء ، سقطت البندقية الاوتوماتيكية الى الوراء بضربة من رجل هاري فضاع صوت سقوطها اذ ذاك ، بينما دارت الجثة عدة دورات عند دواليب الزورق قبل ان تختفي في الماء .

ـ حسناً . . ولـكن اين ذهبت ، ماذا فعلت بها ؟

ـ فعلت بماذا ؟

ـ الامتر اليدورا ..

ـ ماذا ؟

ـ انت تعرف ماذا .

ـ انني لم ا رها .

ـ انت القيتها فى الماء ، سأقتلك الآن ، الآن . .

ـ تمهل .. من اجل ماذا تريد ان تقتلني . ؟

وخاطب روبرتو احد الكوبيين المصابين بدوار البحر :

ـ اعطني مسدسك ، اسرع بالمسدس .

ووقف هاري وشعر بالعرق يسيل تحت ابطيه وسمع الكوبي يقول بالاسبانية :

ـ انت تقتل كثيراً ، قتلت رفيقه ، والآن تريد ان تقتله وهو القبطان ، فمن يقودنا اذن ؟

وقال الكوبي الآخر :

ـ اتركه الآن ، اقتله عندما نصل .

ـ ولكنه القى بالبندقية الى البحر .

ـ لقد حصلنا على النقود ، فما هي فائدة بندقيتك الاوتوماتيكية الآن؟ هناك كثير من هذه البنادق فى كوبا .

ـ اقول لك ، انك تخطيء اذا لم تقتله الآن ، ناولني مسدساً .

ـ اوه صه ، انت سكران ، كلما شربت خمراً اردت ان تقتل شخصاً ما .

وقال هاري وهو ينظر الى الوراء والشمس قد مست افق الماء مكورة حمراء :

ـ اشرب قليلا ، انظر الى الشمس انها ستصبح خضراء عندما تهبط تحت الماء .

ـ لعن الله ذلك كله ، اتعتقد انك ظفرت بشيء ؟

ـ سأشتري لك بندقية جديدة ، انها تكلف خمسة واربعين دولاراً فقط في كوبا ، اهدأ قليلا ، انك على ما يرام الآن وليس هناك طائرة تتعقبنا .

ـ سأقتلك على كل حال ، لقد فعلت ذلك متقصداً وهذا هو سبب دفعي الى حمل الجثة .

ـ انت لا تريد ان تقتلني والا فمن يعبر بكم البحر ؟

ـ يجب ان اقتلك الآن .

ـ تمهل تمهل ، سألقي نظرة على الماكنة .

وفتح غرفة الماكنة وهبط فيها واغلق مفاتيح الزيت ولمس الموتور ولمس البندقية الاوتوماتيكية « ليس الآن » قال لنفسه « كلا من الاحسن تأجيل ذلك . يا للمسيح لقد كنت محظوظاً ، ما الفرق بالنسبة لالبرت ما دام قد فقد الحياة ؟ لقد كفينا امرأته مؤونة دفنه ، ذلك النغل ذو الوجه الكبير ، ذلك النغل السفاح ، كم اريد ان اقتله الآن ، ولكن من الاحسن ان انتظر . »

ونهض وتسلق السلم واغلق غرفة الماكنة ، وقال لروبرتو ووضع يده على كتفه السمين :

ـ كيف حالك ؟

ونظر اليه الكوبي الضخم ولم يقل شيئاً .

ـ هل رأيتها عندما اصبحت خضراء ؟

ـ اذهب للجحيم .

وكان قد سكر ، الا انه كان حذراً ، وبغريزة الحيوان كان يحس بان خطأ ما قد حدث ، وقال هاري للرجل الذي على الدفة :

— دعني آخذها منك ، ما اسمك ؟

— يمكنك ان تسميني اميليو .

— اذهب هناك وستجد شيئاً تأكله ، هناك خبز ولحم عجل وتستطيع ان تصنع لك قهوة اذا شئت .

— لا اريد شيئاً .

— سأصنع انا شيئاً فيما بعد .

وكان يجلس الى العجلة ، وقد اضاء صندوق البوصلة وقد ضبطها بسهولة على النقطة المطلوبة . ونظر الى الليل يزحف على البحر .

لقد كانت ليلة جميلة لعبور البحر ، وفكر « ليلة جميلة وحالما يختفي آخر آثار الفسق سأتجه بالزورق شرقاً ، فاذا لم افعل فاننا سنصل هافانا خلال نصف ساعة او ساعتين على كل حال ؛ وحالما يرى الضوء سيقتلني ابن العاهرة ، لقد كنت محظوظاً في التملص من تلك البندقية ، نعم لقد كنت محظوظاً .. عجباً كيف ستتعشى ماري ، لا شك انها ستنزعج كثيراً ، لعل انزعاجها يمنعها من الاكل ، عجباً كم من النقود حصل عليه هؤلاء الانغال ، ومن المضحك انهم لم يعدوها ، انها طريقة عجيبة لتمويل حركة ثورية ، الـكوبيون شعب جهنمي » .

« انه انسان منحط ذلك الروبرتو ، سأناله هذه الليلة ، سأناله مهما كانت النتيجة ، هذا لن ينفع البرت المسكين ، لقد شعرت بالاستياء من

طريقة اغراقه ، لا ادري كيف فكرت بذلك . »

واشعل سيكارة واخذ يدخن فى الظلام .

« انني مصيب فى عملي ، انني مصيب اكثر مما توقعت ، الفتى فتى لطيف ، لو استطعت جمع هؤلاء الثلاثة في جانب واحد ، لو كانت هناك طريقة لجمعهم ، حسناً سأصنع اقصى ما استطيع ، لو جعلتهم يتناولون الامر بانفسهم ، كلما كان الأمر اهدأ كان افضل » . وسأله اميليو :

— هل تريد ساندوجاً ؟

— شكراً ، اعط واحداً لشريكك .

— انه يشرب ولذلك فلن يأكل .

— والآخران ؟

— مريضان .

— انها ليلة جميلة لعبور البحر .

ولاحظ انه لا يراقب البوصولة فاخذ يديرها الى الشرق بالتدرج .

— لقد كنت استمتع بها لو لم يتعرض لها رفيقك بالذات .

— لقد كان زميلا طيباً ، هل اصيب احد فى البنك .

— المحامي ، ماذا كان اسمه .. سيمونز .

— قتل ؟

— اظن ذلك .

— كيف قتل ؟

— اظن انك تستطيع تصور ذلك ، وضعه يختلف عن رفيقك ،

انني آسف جداً لذلك ، انت تدري انه لم يشأ الاساءة ، انه فقط ما عملته الثورة به .

— ربما كان رفيقاً طيباً ..

وفكر في نفسه « اسمع ما يقوله في ، لعنه الله ، سيقول في كل شيء ولكنني سأحاول اجتذاب هذا الفتى . . »

— اي نوع من الثورة لديكم ؟

— اننا الحزب الثوري الصحيح ، نريد القضاء على جميع السياسيين القدماء وعلى الاستعمار الامريكي الذي يكبلنا وعلى طغيان العسكريين ، نريد ان نبدأ حياة نظيفة وان يحصل كل فرد على فرصته ، نريد انهاء عبودية الـ « كواجيرو » ، انك تعرف ، أي الفلاحين ، وان نقسم اقطاعيات السكر الكبيرة بين الناس الذين يعملون فيها ، ولكننا لسنا شيوعيين .

— وكيف انتم الآن .

— اننا نجمع الاموال للمعركة ، ومن اجل ذلك فاننا نتبع طرقاً لن نتبعها في المستقبل ، كما اننا نستخدم اناساً لن نستخدمهم ابداً في المستقبل . ولكن الغاية تبرر الواسطة ، انهم عملوا نفس الشيء في البلاد الاخرى .

وفكر هاري « انه من الاحرار « اللبرالز » ، نعم انه من جماعة الاحرار . »

— اظن ان لديكم منهاجاً صالحاً ما دمتم تساعدون العمال ، لقد اشتركت في اضرابات كثيرة في الايام القديمة عندما كان لدينا معمل

للسيكار في كي ويست ، انني على استعداد لعمل ما في استطاعتي لو عرفت ما استطيع .

— كثير من الناس يساعدوننا ، ولكن بسبب الظروف الراهنة للحركة فاننا لا نثق بكل انسان . انني آسف للحالة الحاضرة هذه ، انني اكره اعمال الارهاب ، كما انني اشعر بالاسى لطرق جمع المال هذه ، ولكن لا اختيار لنا في ذلك ، انك لا تدري كم هي عليه الحالة من السوء فى كوبا .

— لا بد ان تكون على كثير من السوء .

— انت لا تستطيع تقدير هذا السوء ، هناك حكم ارهابي دموي يمتد الى كل قرية صغيرة فى البلاد ، لا يستطيع ثلاثة اناس ان يلتقوا معاً فى الطريق ، وكوبا ليست لديها اعداء ولا تحتاج الى جيش ، ولكن الجيش الآن يبلغ خمسة وعشرين الفاً ، والعسكريون جميعاً يمتصون دماء الشعب في حكمهم الارهابي ، والكل يكدسون الثروات ، ولديهم جهاز من كل لص وجاسوس يأخذ الفضلات التي يتركها له الجيش . يجب ان نتملص من الحكم الارهابي اولا قبل كل شيء ، قبل ان تحكمنا النوادي ، اننا محكومون الآن بالرصاص والمسدسات والرشاشات والحراب .

— ان الامر يبدو سيئاً .

— لا تستطيع ان تقدر الامر حق قدره ، انني احب بلادي المسكينة ، وانا مستعد لعمل اي شيء ، اي شيء لتحريرها من هذا الطغيان الجاثم علينا الآن ، انني اصنع ما اكره ، ولكنني مستعد

لتكرار ذلك الف مرة .

وكان هاري يفكر « اريد ان اشرب ، فليذهب هو وثورته الى الجحيم ، اف . . ثورته ، لكي يساعد العمال يقوم بسرقة البنوك وقتل شخص عامل ثم قتل البرت المسكين الذي لم يؤذ احداً قط ، هذا هو عامل يقوم بقتله ، انه لم يفكر مطلقاً بهذا ، له عائلة ، ان الكوبيين يحكمون كوبا ، كل واحد يحارب الآخر ، انهم ينالون ما يستحقون ، الجحيم لثوراتهم ، ان عملي هو اعاشة عائلتي ولا انجح فى هذا ، ويأتي بعد ذلك ويحدثني عن ثورته ، الجحيم لثورته . »

— ان الامر سيء ، حسناً ، خذ العجلة لحظة ، اريد ان اشرب جرعة .

— طبعاً ، كيف ادير العجلة ؟

— مائتين وخمسة وعشرين .

كان الظلام سابغاً في ذلك الوقت ، واجتاز المريضين المددين ، ووصل الى روبرتو الجالس على كرسي الصيد وقد وضع رجليه على الكرسي الآخر الذي اداره في اتجاهه .

— اعطني شيئاً من هذا .

— اذهب الى الجحيم ، هذا جميعه لي .

— حسناً .

وذهب ليأتي بالزجاجة الاخرى ، ومع الزجاجة في الظلام تحت يده اليمنى جذب الفلين وتناول جرعة .

انه وقت مناسب ، ليس هناك ما يخشى منه ، لقد نطق الفتى بما لديه ، والنغل الكبير سكران ، والآخران مريضان ، ربما كان هذا هو الوقت الافضل .

وتناول جرعة اخرى فسرت الحرارة فيه وساعدته ، الا انه شعر بالبرد والفراغ حول معدته ، لقد كان باطنه كله بارداً .

— هل تريد جرعة ؟

— كلا شكراً ، انا لا اشرب .

وكان هاري يرى ابتسامته في ضوء صندوق البوصلة وكان فتى حسن المظهر ، وحسن الكلام ايضاً .

— سأشرب انا .

وتناول جرعة كبيرة ولكنها لم تحمي الجزء البارد الذي سرى الآن من معدته الى داخل صدره ، ووضع الزجاجة على الارض .

— احتفظ بنفس الاتجاه ، سأذهب لارى الموتور .

وفتح باب غرفة الماكنة ونزل هناك ، وقفل الباب خلفه برزة حديدية مثبتة في القمر ، وانحنى نحو الموتور ولمس خزان الماء والاسطوانات ووضع يده على الصناديق الصلبة ، وشد على مفاتيح الزيت . ونظر من الغرفة الصغيرة وكاد يمس برأسه المقعدين الموضوعين على خزان الوقود حيث يرقد الكوبيان المريضان ، وكان ظهر الفتى اليه وهو جالس على مقعد القيادة يحدده ضوء صندوق البوصلة ، وادار رأسه فاستطاع ان يرى روبرتو متمدداً على الكرسي في المؤخرة يبدو كالخيال امام الماء المظلم .

« واحد وعشرون في كل صندوق يعني اطلاق خمس اطلاقات اربع رصاصات في كل منها ، يجب ان اكون خفيف اليد ، حسناً ، هيا ، ايها المسيح لو كانت هناك واحدة أخرى ، ولكن ليس هناك غيرها » وفك حزام البندقية ووضع اصبعه على الزناد وازال صمام الامن .

واطلقت البندقية ضوءاً كبيراً في الظلام ، واصطدمت الرصاصات بالماكنة ، وقبل ان يسقط جسم الفتى من مقعد القيادة دار واطلق النار على الشخص الجالس الى اليسار وكاد يشم احتراق معطفه وادار البندقية الى الآخر الذي جلس ومد يده الى مسدسه ، ودار الى المؤخرة ، لقد اختفى الكوبي الضخم من كرسيه ، الكرسيان معاً واضحان في ظل الماء ، خلفه سقط الفتى فاقداً الحراك ولا شك مطلقاً من جانبه ، والكوبيان الآخران سقط احدهما على الآخر ، انه يستطيع ان يرى احدهما ووجهه الى الارض .

كان هاري يحاول تعيين موضع الكوبي الضخم ، وكان الزورق يدور حول نفسه والقعر قد اضيء قليلا ، وامسك نفسه واخذ يحدق ، لابد وان يكون هو في الزاوية ، وراقبه فتحرك قليلا ، انه هو ، كان الرجل يزحف نحوه ، كلا نحو الرجل الساقط على الارض ، انه يطلب مسدسه ، ظل هاري يتعقبه بنظره وهو يزحف حتى تأكد منه ومن ثم اطلق عليه النار ، واضاءه اطلاق النار حتى الركبة ، وبعد ان انتهى اللهيب وصوت « بوت بوت بوت بوت » سمعه يسقط بشدة .

— انت يا ابن العاهرة ، ايها النغل السفاح كبير الوجه .

ذهب جميع البرد من حول قلبه الآن وشعر بالفراغ السابق ، وزحف

الى خزان الوقود للحصول على رصاص للبندقية ووجده ولـكن يده كانت باردة رطبة ، وضرب الخزان وقال لنفسه « يجب ان اوقف الماكنة ، لا ادري اين يصب، الخزان » وضغط على العتلة المقوسة والقى بصندوق الرصاص الفارغ وادخل الصندوق الجديد وقفز الى السطح .

واثناء ما كان واقفاً والبندقية الاوتوماتيكية في يده اليسرى يدير نظره حوله قبل غلق باب غرفة الماكنة ، كان الـكوبي الذي اصيب بثلاثة رصاصات في كتفه واستقرت رصاصتان قربه في خزان الوقود قد جلس وسدد اليه مسدسه واطلق عليه النار في بطنه .

وجلس هاري وهو يشعر بالم شديد وكأنه اصيب في بطنه بآلة حديدية ثقيلة ، كان ظهره قد استند الى احد الانابيب الحديدية التي تسند كراسي الصيد ، واثناء ما اطلق عليه الـكوبي مرة ثانية واصاب كرسي الصيد من فوق رأسه ، انحنى هو الى اسفل وتناول البندقية ورفعها وافرغ نصف صندوق الرصاص في الـكوبي الذي كان جالساً منحنياً الى الامام يطلق عليه الرصاص ، وسقط الرجل على المقعد كالـكومة ، واخذ هاري يتلمس سطح الزورق حتى وجد الـكوبي الضخم الذي سقط ووجهه الى الارض ، ومد اليه الخطاف الذي كان في يده المصابة وتناول رأسه به ووضع فوهة البندقية تجاهه وجذب زنادها . وارتفع صوت كطرق اليقطين بقضيب من الحديد ، والقى هاري البندقية وتمدد على جنبه فوق سطح الزورق .

« انا ابن عاهرة » وكانت شفتاه على خشب السطح ، « انا ابن عاهرة راحل الآن ، يجب ان اوقف الماكنة والا احترقنا جميعاً ، ان لديه فرصة

باقية ، ان لدي فرصة ما ، عيسى المسيح ، شيء واحد يفسدها ، شيء واحد خاطيء ، لعنه الله ، آه يا الله العن ذلك الـكوبي النغل ، من يظن انني لم انله ؟ »

وزحف على يديه وركبتيه ورفع غطاء الماكنة وزحف عليه الى مقعد القيادة وجذب نفسه اليه مندهشاً من قدرته على الحركة ، وشعر فجاءة بالانحلال والضعف عندما انتصب فاحنى قامته الى الامام ، ويده المصابة على البوصلة ، واغلق مفتاحي الماكنة ، وهدأت الماكنة ، واخذ يحس بصوت الماء حولها ، ولم يكن هناك صوت آخر ، وقد بدأت الرياح الشمالية بالهبوب .

وتمسك بالعجلة واراح نفسه على مقعد القيادة منحنياً على لوحة الخرائط ، وشعر بالقوة تنساب من جسمه بصورة تدريجية منتظمة ، وفتح قميصه بيده السليمة وتلمس صدره بانامله ، كان هناك نزيف قليل ، « النزيف في الداخل » هذا ما فكر به « من الافضل ان أتمدد واتيح لجسمي بعض الراحة . »

كان القمر قد ارتفع اذ ذاك ، واستطاع ان يرى سطح الزورق « بعض الاضطراب ، بعض الاضطراب الجهنمي . يجب ان اهبط الآن قبل ان اسقط » وانزل نفسه الى سطح الزورق .

وتمدد على جنبه ومن ثم جاء ضوء القمر اثناء ما تدحرج الزورق ، واصبح يرى كل شيء على السطح بوضوح .

انه مزدحم ، هذا ما هو عليه ، وفكر بعد ذلك « عجباً ما سوف

تفعله ، عجباً ماذا ستفعل ماري ؟ ربما دفعوا اليها مكافأة ، لعن الله ذلك السكوبي ، ستستطيع الحياة كما اظن ، انها امرأة ذكية ، لن يعرف احد كيف حدث كل شيء . لو استطيع ان اصنع شيئاً لماري ، كمية كبيرة من المال في هذا الزورق ، لا اعرف حتى مقدارها ، كل شخص تنفعه هـــذه الـكمية ، لعل حرس السواحل يستولون عليها ، بعضها على الاقل . . لو استطيع اخبار المرأة بما حدث ، عجباً ماذا ســتعمل ؟ لا ادري ، لو اخترت عملا في نقل البضائع في المحطة او ما شاكل ذلك ، لو تركت مهنة الصيد ، ليس هناك مال حلال في امتلاك الزوارق . . لو ان الزورق الملعون توقف عن التدحرج ، انني اشعر بالتلاطم في داخلي ، انا مستر بي لب ، والبرت ، كلهم ، وهؤلاء الانغال ايضاً ، انها لا بد وان تكون مهنة منحوسة ، بعض المهن المنحوسة ، اعتقد ان رجلا مثلي يجب ان يعمل في المحطة . . ماري ، انها ستعمل عملا ما ، انها اكبر من ان تثقل جسمها . . لو ان هذا الزورق الملعون توقف عن التدحرج ، يجب ان اوقفه ، يجب ان أهدئه على قدر ما استطيع ، يقولون لو انك لم تشرب الماء وتهدأ ، انهم يقولون ، لا سيما اذا لم تشرب الماء . »

ونظر الى ما كشفه ضوء القمر على السطح « حسناً ، انني لن انظفه على كل حال ، مهلا ، هذا ما يجب ان افعله ، مهلا ، مهلا قدرما استطيع ، ان لدي فرصة من نوع ما ، اذا هدأت ولم تشرب الماء على الاطلاق . »

وتمدد على ظهره وحاول ان يتنفس بانتظام ، وتدحرج الزورق على مياه الخليج وقد رقد هاري موركن على سطحه ممدداً على ظهره .

كابورتو

فصل من رواية بعنوان

« وداعاً ايها السلاح »

- ١ -

تجردت الاشجار جميعاً من اوراقها في هذا الوقت من الخريف ، وامتلأت الطرق بالوحل ، وقد سافرت الى كوريزيا من اودين فى عربة « كاميون » . اجتزنا عربات كثيرة في طريقنا وقد كنت انظر الى الريف ، اشجار التوت عارية والحقول غبراء ، وكانت هناك اوراق ميتة على الطريق سقطت من صف الاشجار الطويل ، وكان هناك رجال يعملون ، ينقلون الحجارة من كومات الحجر المسحوق الموضوعة على جانبي الطريق بين الاشجار . وقد شاهدنا المدينة ملتفة بالضباب الذي حجب الجبال البعيدة وعبرنا النهر الذي وجدت ان ماءه قد ارتفع وهو يجري بسرعة . فقد كانت هناك امطار غزيرة على الجبال . وصلنا الى المدينة عبر المصانع ، ثم عبر المنازل والفيلات ، وقد رأيت ان منازل كثيرة اخرى قد اصيبت . وفي احد الشوارع الضيقة قابلتنا سيارة اسعاف للصليب الاحمر البريطاني ، وقد كان السائق يلبس قبعة عمالية وكان وجهه نحيفاً ولم اعرفه . وقد نزلت من عربة الكاميون في الساحة الكبيرة امام بيت قائد المدينة وانزل السائق حقيبتي فاخذتها واتجهت الى منزلنا . الا ان الأمر بدا بعيداً من ان يكون عودة امرىء الى منزله .

سرت في الطريق الرطب ناظراً الى الفيلا خلال الاشجار ، كانت النوافذ كلها مغلقة ولكن الباب كان مفتوحاً ، دخلت فوجدت القائد جالساً الى منضدة في الغرفة العارية التي تغطي جدرانها الخرائط والرسوم ، فبادرني القائد :

— هلو ، كيف حالك ؟

بدا اكبر سناً واجف ، واجبته :

— انني بخير ، كيف الاحوال ؟

— لقد انتهى كل شيء ، ضع امتعتك جانباً واجلس .

فوضعت حاجياتي على الارض والقيت قبعتي عليها واحضرت الكرسي الآخر من قرب الجدار وجلست الى جانب المنضدة .

وقال القائد :

— لقد كان صيفاً سيئاً ، هل انت قوي الآن ؟

— نعم .

— هل اخذت الاوسمة ؟

— نعم لقد اخذتها ، شكراً جزيلا .

— دعني اراها .

ففتحت معطفي لاريه الشريطين .

— وصلك الصندوق مع المداليات ؟

— كلا ، وصلتني الاوراق وحدها .

— ستصلك الصناديق بعدئذ ، ان الامر يحتاج الى وقت .

— ماذا تريدني ان افعل ؟

— السيارات كلها ذهبت ، هناك ست شمالا في كابورتو ، لابد انك تعرف كابورتو ؟

— نعم .

وتذكرت انها مدينة صغيرة بيضاء لها كنيسة وبرج في الوادي ، لقد كانت مدينة صغيرة نظيفة وفى وسط ساحتها الرئيسية نافورة جميلة .

— انهم يعملون من هناك ، هناك كثير من المرضى الآن وقد انتهى القتال .

— واين الآخرون ؟

— اثنان في الجبال واربعة لا يزالون فى بينسزا ، والاسعافان الآخران في كارسو مع الجيش الثالث .

— ماذا ترغب ان افعل ؟

— تستطيع ان تذهب وتتسلم السيارات الاربع في بينسزا اذا اردت . لقد بقي جينو طويلا هناك ، انك لم ترها هناك ، اليس كذلك ؟

— كلا .

— لقد كان الامر فظيعاً ، لقد فقدنا ثلاث سيارات .

— لقد سمعت بذلك .

— نعم لابد وان رينالدي كتب اليك بذلك .

— اين رينالدي الآن ؟

— انه هنا فى المستشفى . لقد كان الامر سيئاً ، لا تستطيع ان تصدق كم كان الامر سيئاً ، وقد فكرت حيناً بانك كنت محظوظاً لانك اصبت .

— اعرف انني كنت محظوظاً .

— ان السنة القادمة ستكون اسوأ ، من المحتمل ان يهاجموا الآن ،

انهم يقولون انهم سيهاجمون ولكنني لا استطيع ان اصدق ذلك ، لقد فات الوقت ، الم تر النهر ؟

— نعم لقد ارتفع مستواه فعلا .

— لا اعتقد بانهم سيهاجمون بعد ان بدأت الامطار ، وسيهبط الجليد سريعاً ، ماذا عن مواطنيك ، هل سيكون معك امريكان آخرون ؟

— انهم يدربون جيشاً من عشرة ملايين .

— ارجو ان يأتينا بعضهم ، ولكن الفرنسيين سيحرموننا منهم ، ولن يأتينا احد هنا ، حسناً ، ابق هنا هذه الليلة واذهب صباحاً في السيارة الصغيرة وارسل جينو الى هنا وسأرسل معك شخصاً يعرف الطريق . سيخبرك جينو بكل شيء انهم يقذفون القنابل قليلا ولكن كل شيء قد انتهى ، انك سترغب في رؤية بينسزا .

— سأكون مسروراً برؤيتها ، انني في غاية السرور لعودتي اليك سنيور ماككيور .

وقد ابتسم لهذا ، وقال :

— انه لطفك ان تقول ذلك ، انني قد ضقت بهذه الحرب ، لو كنت بعيداً لما عدت الى هنا على ما اعتقد .

— هل الامر على هذا السوء ؟

— نعم ان الامر على هذا السوء واسوأ ، اذهب ونظف نفسك وابحث عن صديقك رينالدي .

فذهبت وحملت حقائبي الى الطابق الأعلى . ولم يكن رينالدي في الغرفة

ولكن حاجياته كانت هناك . جلست على الفراش وخلعت بعض ملابسي وتمددت على الفراش . لقد كنت متعباً وقدمي اليمنى تؤلمني ، وقد بدا لي الامر مضحكا ان انام بفردة حذاء فجلست ونزعت الفردة الثانية واسقطتها وتمددت على البطانية مرة اخرى ، وقد كان جو الغرفة مختنقاً بسبب غلق النافذة ولكنني كنت من التعب بحيث فضلت عدم النهوض لفتحها . رأيت اشيائي جميعاً في زاوية الغرفة ، وكانت الظلمة تزحف فى الخارج . واثناء تمددي على الفراش فكرت في كاترين وبقيت منتظراً رينالدي . لقد كنت احاول تجربة عدم التفكير فى كاترين الا فى الفراش قبل النوم ، ولكنني كنت إذ ذاك متعباً ولم يكن لدي ما اعمله ولذلك فقد تمددت واخذت افكر فيها ، وكنت افكر فيها عندما جاء رينالدي ، لقد كان كما هو ، وربما كان انحف قليلا ، وخاطبني :

ـ حسناً ايها الصغير .

وجلست على الفراش وجاء هو الي وجلس بجانبي واحاطني بذراعه وقال « صغيري القديم » وربت على ظهري وامسكت انا بذراعيه جميعاً ، فقال :

ـ يا صغيري القديم ، دعني ارى ركبتك .

ـ يجب ان اخلع السروال .

ـ اخلع السروال اذن ، نحن كلنا اصدقاء هنا ، اريد ان ارى ماذا فعلوا بركبتك .

فنهضت وخلعت اللفاف ورفعت رجل السروال ، فركع رينالدي وثنى

ساقي الى الامام والخلف برقة ولمس باصبعه اثر الجرح ووضع ابهاميه على عظم الركبة .

ـ هل هذا هو كل ما حصلت عليه ؟

ـ نعم .

ـ انها لجريمة ان يرسلوك الينا ، لقد كان عليهم اتمام المعالجة .

ـ انها احسن كثيراً مما كانت عليه ، لقد كانت صلبة كالخشب .

فثناها رينالدي اكثر ، وكنت اراقب يديه ، لقد كانت اصابعه اصابع جراح قدير ، ونظرت الى قمة رأسه ، شعره يلمع وقد قسم الى جانبين ، وثنى ركبتي كثيراً فصرخت :

ـ اوه . .

ـ انك في حاجة الى معالجة اكثر بواسطة الماكنة .

ـ انها تحسنت كثيراً .

ـ اني ارى ذلك يا صغيري ، هذا امر اعرف عنه اكثر مما تعرف انت .

ونهض ثم جلس على الفراش .

ـ الركبة نفسها عمل جيد ، اخبرني عن كل شيء .

ـ ليس هناك ما اخبرك عنه ، لقد امضيت حياة هادئة .

ـ انت تتصرف كرجل متزوج ، ماذا بك ؟

ـ لا شيء . ماذا بك انت ؟

ـ هذه الحرب تقتلني ، انني منزعج جداً منها .

وثنى يديه حول ركبته ، وقلت :

ـ اوه .

ـ ما الامر ؟ اليس لي الحق حتى في المشاعر الانسانية ؟

ـ كلا ، ارى انك قضيت وقتاً طيباً ، حدثني .

ـ طوال الصيف والخريف كنت اعمل ، كنت اعمل دائماً ، كنت اقوم بعمل الجميع وقد كانوا يتركون اصعب الاعمال لي ، يا الله ، انني فى طريقي الى ان اصبح جراحاً محبوباً .

ـ هذا احسن .

ـ انا لا افكر ، كلا ، انا لا افكر ، انا اعمل .

ـ هذا صحيح .

ـ ولكن الآن ، يا صغيري ، انتهى كل شيء ، انا لا اعمل الآن واشعر كانني فى الجحيم . انها حرب مزعجة ، يا صغيري ، انك تصدقني عندما اقولها . والآن حاول ان تسرني ، هل جئت بالتصاوير ؟

ـ نعم .

وقد كانت ملفوفة بورقة في صندوق فى حقيبتي ، وقد كنت متعباً اكثر مما استطيع ان اذهب لاخرجها .

ـ الا تشعر بتحسن انت نفسك يا صغيري ؟

ـ اشعر كأني في الجحيم .

ـ هذه الحرب مزعجة ، هيا ، سنشرب معاً وكن مبتهجاً ، وسنشعر بتحسن .

ـ لدي يرقان ، ولا استطيع الشرب .

ـ اوه يا صغيري ، على اية حال عدت الي ، لقد عدت جاداً ولديك كبد ، اني اقول لك ان هذه الحرب امر سيء ، لماذا صنعناها على كل حال ؟

ـ سنشرب معاً ، انني لا اريد ان اسكر ولكننا سنشرب .

ذهب رينالدي الى حيث المغسل وعاد بكأسين وزجاجة كونياك .

ـ انها كونياك نمساوية ، سبعة نجوم ، هـــذا كل ما غنموه في سان كابرييل .

ـ هل كنت هناك ؟

ـ كلا ، لم أذهب الى أي محل ، لقد كنت هنا طوال الوقت أعمل ، أنظر ياصغيري ، هذا هو كأسك القديم الذي كنت تستعمله لفرشة الأسنان ، لقد احتفظت به طوال الوقت ليذكرني بك .

ـ ليذكرك بتنظيف أسنانك .

ـ كلا ، لقد كان لدي كأسي ، أحتفظ به ليذكرني بمحاولتك إزالة « فيلاروزا » من أسنانك فى الصباح مقسماً الايمان ومتناولا الاسبرين ولاعناً المومسات . وفى كل مرة أرى هذا الكأس أتذكرك تحاول أن تنظف ضميرك بفرشاة أسنان .

وجاء الى الفراش

ـ قبلني مرة وقل لي أنك لست جاداً .

ـ لن أقبلك ، أنك غوريللا .

ـ أعرف ذلك ، أنت الفتى الانكلوسكسوني الجميل ، أعرف ذلك ، أنت ابن الندم ، أعرف ذلك ، سأنتظر حتى أرى الانكلوسكسوني ينظف

الزنى بفرشاة أسنان .

ـ ضع بعض الكونياك في الكأس .

وقابلنا الكؤوس وشربنا ، وضحك رينالدي علي .

ـ سأجعلك تسكر واستخرج كبدك واضع لك كبداً ايطالياً واجعل منك رجلا مرة اخرى .

ومددت يدي بالكأس طالباً مزيداً من الكونياك ، لقد كان الظلام مخيما في الخارج ، وذهبت الى النافذة وفتحتها ، كان المطر قد توقف عن السقوط ، لقد كان الجو ابرد في الخارج وكان هناك ضباب حول الاشجار .

ـ لا ترم بالكونياك من النافذة ، اذا لم تستطع شربه اعطني اياه .

لقد كنت مسروراً برؤية رينالدي ، لقد امضى عامين فى اغاظتي ، وكنت دائماً اتقبل ذلك ، لقد كنا نفهم احدنا الآخر تماماً . وقال من الفراش :

ـ هل انت متزوج ؟

ـ حتى الآن كلا .

ـ هل تحب ؟

ـ نعم .

ـ تلك الفتاة الانكليزية ؟

ـ نعم .

ـ يامسكين ، هل هي صالحة لك ؟

ـ طبعاً .

ـ أقصد هل هي صالحة لك عملياً ؟

ـ صه .

ـ سأفعل ، سترى أنني رجل رقيق جداً ، هل هي . .

ـ ريني . . أرجوك أن تسكت ، إذا كنت تريد أن تكون صديقاً لي فاغلق فمك .

ـ أنا لا أريد أن أكون صديقك ياصغيري ، أنا صديقك .

ـ إذن صه .

ـ حسناً .

وذهبت الى الفراش وجلست بجانب رينالدي ، كان ممسكاً بكأسه ومحدقاً في الارض .

ـ هل ترى كيف الحال ياربني ؟

ـ أوه ، نعم ، فى كل حياتي أجابه أموراً مقدسة ، لابد وأن لديك بعضاً منها أيضاً .

ـ وأنت ، أليس لديك منها شيء ؟

ـ كلا .

ـ على الاطلاق ؟

ـ كلا .

ـ ماذا عن أمك ، وعن أختك ؟

ـ وعن أختك . .

وضحكنا معاً . وقلت :

ـ السوبرمان القديم .

ـ ربما كنت غيوراً .

ـ كلا ، وأنت لست كذلك .

ـ أنا لا أقصد مثل هذا ، اقصد شيئاً آخر ، هل لديك اصدقاء متزوجون ؟

ـ نعم .

ـ اما انا فلا ، ولاسيما اذا احبوا بعضهم بعضاً .

ـ ولم لا ؟

ـ انهم لا يحبونني .

ـ ولم لا ؟

ـ انا الثعبان ، انا ثعبان العقل .

ـ انك تخلط ، التفاحة كانت العقل .

ـ كلا ، انه كان الثعبان .

وبدا اكثر ابتهاجاً . وقلت :

ـ انك تكون احسن اذا تركت التفكير بعمق هكذا .

ـ انا احبك يا صغيري ، انك تنبهني عندما اصبح مفكراً ايطالياً كبيراً ، ولكنني اعرف اشياء كثيرة لا استطيع ان اتكلم عنها ، انا اعرف اكثر منك .

ـ نعم ، انت فعلا كذلك .

ـ ولـكنك ستحصل على وقت افضل ، حتى مع ندمك تستطيع ان تحصل على وقت افضل .

ـ لا اعتقد ذلك .

ـ اوه نعم ، ذلك صحيح ، لقد كنت سعيداً عندما كنت اعمل فقط .

ـ ستتغلب على ذلك .

ـ كلا ، انني احب فقط شيئين آخرين ، احدهما مضر بعملي ، والآخر ينتهي بنصف ساعة او ربع ساعة ، وفي بعض الاحيان اقل .

ـ في بعض الاحيان أقل من ذلك جداً .

ـ ربما اكون قد تحسنت ياصغيري ، انت لا تعرف ، ولـكن هذين الشيئين فقط وعملي .

ـ ستحصل على اشياء اخرى .

ـ كلا ، اننا لن نحصل على اي شيء ، لقد ولدنا بما نملكه ولا يمكن ان نتعلم ، ولا نحصل على شيء جديد البتة ، اننا جميعاً نبدأ كاملين ، يجب ان تسر لانك لست لاتينياً .

ـ ليس هناك شيء من هذا اسمه لاتيني ، انه تفكير «لاتيني» . انك فخور بنواقصك كثيراً .

وضحك ورفع رأسه وقال :

ـ سنتوقف يا صغيري ، لقد تعبت من التفكير بهذا المقدار .

وبدا متعباً ، وقال :

ـ انه وقت الاكل تقريباً ، انني مسرور بعودتك .

ـ متى يأكل اخوان الحرب ؟

ـ حالا . سنشرب كرة اخرى من اجل كبدك .

ـ مثل القديس بول ؟

ـ انك غير دقيق ، كان ذلك النبيذ والمعدة ، خذ قليلا من النبيذ من اجل معدتك .

ورفع كأسه :

ـ فى صحة فتاتك .

ـ حسناً .

ـ لن اقول ابداً ما يسيء اليها .

ـ لا تضغط على نفسك .

ـ انا نقي ، انا مثلك يا صغيري ، سأجد فتاة انكليزية ايضاً ، فى الواقع عرفت فتاتك اولا ، ولكنها كانت اطول منى ، طول الاخت .

ـ ان لك فكراً جميلا رائقاً .

ـ هل هذا صحيح ؟ اذن هذا هو السبب فى تسميتي رينالدو بيريسيمو (١) .

ـ رينالدو سبورشيزمو .

ـ هيا يا صغيرى ، سنذهب لنأكل ما دام فكري لا يزال رائقاً .

كان رينالدي سكران قليلا ، واغتسلت وعدلت شعري ونزلنا الى الطابق الاسفل ، وفى الغرفة التي نأكل فيها وجدنا ان الطعام لم يكن حاضراً

---

(١) بيريسيمو اشتقها رينالدي من كلمة « بيور » ومعناها نقي او رائق .

بعد . وقال ريتالدي :

ـ سأذهب لآتي بالزجاجة .

وصعد الى الطابق الاعلى وجلست انا الى المائدة ، وعاد هو بالزجاجة وصب لكل منا مقداراً من الكونياك .

ـ هذا كثير .

قلت ذلك ورفعت الكأس ونظرت اليه خلال ضوء المصباح ، وقال ريتالدي :

ـ ليس كثيراً لمعدة فارغة ، انه شيء مدهش ، انه يحرق المعدة تماماً ، ليس هناك ما هو اسوأ لك .

ـ حسناً .

ـ تحطيم النفس يوما بعد يوم ، انه يخرب المعدة ويجعل اليد ترتجف ، نفس ما يحتاج اليه الجراح .

ـ هل توصي بهذا ؟

ـ من كل قلبي ، انني لا استعمل غيره ، اشربه يا صغيري وانتظر المرض .

وشــربت نصف الكأس ، وفى القاعة سمعت النداء : « الشوربة حاضرة .. » ، ودخل القائد وحيانا بايماءة وجلس الى المائدة ، وقد بدا صغيراً جداً فى جلسته وقال :

ـ اليس هناك آخرون ؟

ووضعت الشوربة امامه وملأ صحنه ، واجاب ريتالدى :

ـ كلنا هنا ، الا اذا جاء القسيس ، لو عرف ان فدريكو هنا اذن لجاء .

وقلت :

ـ اين هو؟

ـ انه فی ٣٠٧ .

قال القائد ذلك وكان مشغولا بشوربته ، ومسح فمه ومسح بعناية شاربيه الاسمرين المنتصبين ، واردف :

ـ اظن انه سيأتي ، لقد زرتهم وتركت كلمة لاخبره بانك هنا .

ـ انى افتقد ضوضاء المائدة .

ـ نعم ، الهدوء مخيم .

وقال رينالدی :

ـ سأكون انا الصخاب .

وقال لي القائد :

ـ اشرب قليلا من النبيد انريكو .

وملأ لي كأسي ، وكان السباكتي قد جاء وانشغلنا جميعاً به ، وكنا نكاد ننتهي من السباكتي عندما جاء القسيس ، لقد كان كما هو صغيراً اسمر متلاحماً . وقمت اليه فتصافحنا ووضع يده على كتفي وقال :

ـ لقد جئت حالما سمعت .

وقال القائد له :

ـ اجلس ، لقد تأخرت .

وقال رينالدي مستعملا اللفظ الانكليزي :

ـ مساء الخير ايها القسيس .

ـ مساء الخير رينالدو .

وجيء له بالشوربة الا انه فضل ان يبدأ بالسباكتي وسألني :

ـ كيف حالك ؟

ـ بخير ، كيف جرت الامور ؟

وقال رينالدي :

ـ اشرب قليلا من النبيذ ايها القسيس ، خذ قليلا من النبيذ من اجل معدتك ، هذا هو قول القديس بولس كما تعلم .

ـ نعم اعلم .

قال القسيس ذلك بادب ، وصب له رينالدي النبيذ في كأسه ، وقال رينالدي :

ـ ذلك القديس بولس ، انه احد الذين يخلقون المتاعب ، لقد كان نشطاً ومتحركا حتى اذا انتهى وضع لنا القواعد لنتبعها ونحن لما نزل فى نشاطنا ، اليس هذا صحيحاً يا فيديريكو ؟

ـ لا اناقش في القديسين بعد المغرب .

ـ هاها ، انه مال الى جانبه ، اين اولئك الذين يتحرشـــون بالقسيس ، اين كافالـكاتي ؟ اين بريندى ؟ اين سيزار ؟ هل علي ان اتحرش وحدى به ؟

وقال القائد وكان يأكل اللحم المطبوخ :

ـ انه قسيس طيب ٠

ـ انه قسيس طيب ، ولكنه ايضاً قسيس ، انني احاول ان اجعل المائدة كما كانت فى الايام السالفة ، اريد ان اجعل فيدريكو سعيداً ، الى الجحيم ايها القسيس ٠

ورأيت القائد ينظر اليه ويلاحظ انه سكران ، لقد كان وجهه النحيف ابيضاً ، وكان خط شعر رأســـه يبدو فاحماً عند التقائه بوجهه المبيض ٠ وقال القسيس :

ـ حسناً رينالدو ، حسناً ٠

ـ اذهب الى الجحيم ، الجحيم لمهنتك كلها ٠

وجلس فى كرســـيه ٠ وقال لي القائد انه يعاني من التعب ، ومسح القائد فمه بقطعة خبز بعد ان انهى طعامه ، وقال رينالدى :

ـ انا لا العن ، الجحيم للمهنة كلها ٠

واخذ ينظر بتحد حول المائدة بعينيه المنبسطتين ووجهه الشاحب ، وقلت له :

ـ حسناً ، الجحيم للمهنة اللعينة كلها ٠

ـ لا لا ، انت لا تستطيع ذلك ، انت لا تستطيع ذلك ، اقول انك لا تستطيع ذلك ، انت جاف وانت فارغ ولا شيء غير ذلك ، ليس هناك شيء آخر اقوله لك ، ليس شيئاً لعيناً ، انا اعرف ، عندما اتوقف عن العمل ٠

وهز القسيس رأسه ، ورفع صحن اللحم من على المائدة ، والتفت

رينالدى الى القسيس وقال له :

ـ لم تأكل طعامك ، الا تعرف انها الجمعة ؟

ـ انه الخميس .

ـ هذا كذب ، انها الجمعة ، انك تأكل جسم الله ، انه لحم الله ، انا اعلم ، انه نمساوى ميت ، هذا هو ما تأكله .

وقلت مكملا نكتتنا القديمة :

ـ اللحم الابيض لحم الضباط .

وضحك رينالدى ، وملأ كأسه ، وقال :

ـ لا تؤاخذني ، انى مخبول قليلا .

وقال القسيس :

ـ يجب ان تحصل على اجازة .

وهز القائد رأسه ، ونظر رينالدى الى القسيس :

ـ تعتقد بانى يجب ان احصل على اجازة ؟

وهز القائد رأسه للقسيس وكان رينالدى ينظر اليه :

ـ كما تشاء انت ، فاذا لم ترد ..

ـ اذهب الى الجحيم ، انهم يريدون التخلص منى ، فى كل ليلة يحاولون التخلص منى ، انى اكافحهم ، ماذا لو حصلت عليها ، كل واحد لديه مثلها ، كل العالم ، اولا ... انها بثرة ، ثم نلاحظ طفحاً بين الكتفين ، وبعد ذلك لا نلاحظ شيئاً على الاطلاق ، اننا نضع ثقتنا في الزئبق ..

وقاطعه القائد بهدوء :

— او بالسلغرسان .

— انه مركب زئبقي ، انني اعرف شيئاً يساوي الاثنين معاً ، ايها القسيس العجوز ، انك لن تحصل عليه ، هذا الصغير سيحصل عليه ، انه مصادفة صناعية ، انها مصادفة صناعية بسيطة .

وجلبت لنا الحلويات والقهوة ، وكانت الحلويات من « الدولس » عبارة عن حلاوة خبز اسود مع شيرة كثيفة . وكان المصباح ينفث الدخان داخل المدخنة ، فقال القائد للخادم :

— هات شمعتين واخرج المصباح .

وجاء الخادم بشمعتين مضاءتين كل واحدة فى صحن صغير واخرج المصباح بعد ان نفخ فيه واطفأه .

وكان رينالدي قد هدأ الآن ، وبدا طبيعياً .

وتحدثنا وبعد انتهائنا من تناول القهوة ذهبنا الى الصالون . وقال رينالدي :

— هل تريد ان تتحدث الى القسيس ، لابد لي من الذهاب الى المدينة ، ليلتك سعيدة ايها القسيس .

— ليلتك سعيدة يا رينالدو .

— سأراك فيما بعد يا فريدي.

وقلب وجهه وغادرنا ، وكان القائد واقفاً معنا ، وقال :

— انه متعب جداً وقد عمل اكثر من طاقته ، ويعتقد ايضاً انه مصاب بالسفلس ، لا اظن ذلك ولكنه ربما كان مصاباً ، انه يداوي

نفسه بنفسه منه ، ليلتكم سعيدة .. ستغادرنا قبل الفجر يا انريكو ؟

— نعم .

— وداعاً اذن ، ارجو لك التوفيق ، سيوقظك بيدوزي ويذهب معك .

— وداعاً سنيور ما ككيور .

— وداعاً ، انهم يتحدثون عن هجوم نمساوي ولكنني لا اعتقد بذلك ، ارجو الا يحدث ، وعلى كل حال فانه لن يكون من هذه الجهة . سيخبرك جينو بكل شيء ، التلفون صالح الآن .

— سأخابرك بانتظام .

— افعل ذلك رجاء ، ليلتك سعيدة . لا تدع رينالدي يشـــرب هذا المقدار من البراندي .

— سأحاول منعه .

— ليلتك سعيدة ايها القس .

— ليلتك سعيدة سنيور ما ككيور .

وغادرنا الى مكتبه .

- ٢ -

ذهبت الى الباب و نظرت الى الخارج ، كان المطر قد توقف وكان هناك ضباب . وسألت القسيس :

— ألا يجب ان نصعد ؟

— استطيع ان ابقى قليلا هنا .

— تعال الى فوق .

وتسلقنا السلم ودخلنا غرفتي ، واستلقيت على فراش رينالدي . وجلس القسيس على سريري السفري الذي نصبه الجندي المراسل . وكانت الغرفة مظلمة . وقال :

— حسناً ، كيف انت حقيقة ؟

— انني بخير ، انني متعب هذه الليلة .

— انا متعب ايضاً ، ولكن بلا سبب .

— والحرب ؟

— اظن انها ستنتهي قريباً ، لا ادري لماذا ولكنني احس بذلك .

— كيف تحس بذلك ؟

— انت تعرف حالة قائدك ، انه رقيق ، كثير من الناس بهذا الشكل الآن .

— انني نفسي اشعر بذلك .

— لقد كان صيفاً مزعجاً .

لقد كان اذ ذاك اكثر ثقة بنفسه مما كان عليه عندما تركته .

واردف :

— انك لا تصدق كيف كانت الحال ، الا اذا كنت هناك وكنت تعرف كيف يمكن ان تكون ، كثير من الناس ادركوا معنى الحرب هذا الصيف . ان الضباط الذين كنت اعتقد انهم لن يدركوا ذلك لقد ادركوه الآن .

— وماذا سيحدث ؟

وضربت البطانية بيدي .

— لا ادري ، ولكنني لا اظن ان من الممكن ان تستمر مدة اطول .

— ماذا سيحدث ؟

— سيتوقفون عن القتال .

— من ؟

— الجانبان .

— ارجو ذلك .

— ألا تصدق ذلك ؟

— لا اعتقد بان الجانبين سيتوقفان عن القتال مرة واحدة .

— هذا صحيح ، انه اكثر مما يمكن توقعه ، ولكنني عندما ارى التبدل في الرجال لا اظن ان الممكن استمرار الحالة .

— من الذي ربح المعركة هذا الصيف ؟

— لم يربحها احد .

— النمساويون ربحوا ، لقد منعوهم من اخذ سان كابرييل ، لقد ربحوا ، انهم لن يوقفوا القتال .

— اذا كانوا يشعرون كما نشعر فانهم سيتوقفون ، لقد مروا بنفس الحالة .

— ليس هناك من يتوقف وهو يربح .

— انك تثبطني .

— انني اقول ما افكر به .

— فانت تظن انها ستستمر وتستمر ؟ ولن يحدث اي شيء ؟

— لا ادري ، كلما هنالك اعتقد بان النمساويين لن يتوقفوا عندما ينالون نصراً . اننا في الهزيمة نصبح مسيحيين .

— النمساويون مسيحيون ، عدا البوسنيين .

— لا اقصد المعنى الشكلي للمسيحية ، اقصد ما يقوله الله .

ولم يجب بشيء ، فقلت :

— اننا جميعاً ارق الآن لاننا تلقينا ضربة ، كيف كان يصبح سيدنا لو ان بطرس انقذه فى « البستان » ؟

ـ كان يصبح كما هو .

ـ لا اعتقد ذلك .

ـ انك تثبطني ، انا اعتقد وادعو الله بان يحدث شيء . لقد شعرت به قريباً جداً .

ـ قد يحدث شيء ما ، ولكنه سيحدث لنا فقط ، اذا شعروا نفس

ما نشعر ، سيكون الامر حسناً ، ولكنهم اصابونا بضربة . انهم يشعرون شعوراً آخر .

ـ كثير من الجنود كانوا يشعرون نفس الشعور ، لم يكن السبب انهم تلقوا ضربة .

ـ انهم تلقوا ضربة من البداية ، عندما انتزعوهم من حقولهم ووضعوهم في الجيش ، ولهذا كانت للفلاح حكمة ، لانه مهزوم من البداية ، ضع بيده السلطة وانظر حكمته .

لم يقل اي شيء ، كان يفكر . وقلت :

ـ انني نفسي الآن متأثر ، وهذا هو سبب عدم تفكيري فى هذه الامور ، انا لا افكر ولكنني عندما ابدأ في الحديث اقول الاشياء التي اجدها في ذهني بدون تفكير .

ـ لقد كنت آمل في شيء .

ـ هزيمة ؟

ـ كلا . شيء اكثر من هذا .

ـ ليس هناك اكثر من هذا ، الا النصر ، وقد يكون اسوأ .

ـ لقد كنت آمل لمدة طويلة فى النصر .

ـ وانا ايضاً .

ـ والآن لا ادري .

ـ لابد ان يكون ، اما هذا او هذا .

ـ انا لا اعتقد بالنصر بعد الآن .

ـ وانا كذلك . ولـكنني لا اعتقد بالهزيمة ، ولو انها قد تكون احسن .

ـ وبم تعتقد ؟

ـ في النوم .

فنهض واقفاً ، وقال :

ـ انا آسف لبقائي طويلا ، ولـكنني احب ان اتحدث اليك .

ـ من المحتمل ان نتحدث مرة اخرى ، لقد ذكرت النوم بدون ان اعني شيئاً .

ـ نهضنا معاً وتصافحنا فى الظلام ، وقال :

ـ انني انام الآن في ٣٠٧ .

ـ سأذهب فى المهمة غداً مبكراً .

ـ سأراك عندما تعود .

ـ سنتمشى ونتحدث معاً .

ومشيت معه الى الباب ، فقال ووضع يده على كتفي :

ـ لا تنزل الى تحت ، اني مسرور بعودتك ، ولو ان العودة ليست حسنة لك .

ـ انها حسنة لي ، ليلتك سعيدة .

ـ ليلتك سعيدة ، سياو . .

ـ سياو . .

وكنت نعسان جداً .

تذبهت من نومي عند مجيء رينالدي ، ولـكنه لم يتكلم ، فعدت الى النوم ، وفى الصباح ارتديت ملابسي وذهبت قبل الفجر ، ولم يستيقظ رينالدي عندما رحلت .

لم أكن قد رأيت بيدسزا من قبل ، وقد كان غريباً ان نصعد المنحدر حيث يوجد النمساويون وراء المكان الذي جرحت فيه على النهر ، لقد كان هناك طريق جديد منحدر وبضع جرارات ، ووراء ذلك يعرض الطريق . ورأيت الاحراش والتلال المنحدرة في الضباب ، كانت هناك احراش احتلت بسهولة ولم تخرب ، وبعد ذلك وراء الجزء غير المحمي من الطريق بالتلال ، وضعت الحصران لحجب الطريق على الجوانب وفى القمة . وانتهى الطريق في قرية مخربة ، وكانت الخطوط اعلى من ذلك الى الخلف ، وكانت هناك مدفعية كثيرة هنا وهناك ، كانت الدور مخربة تماماً ولـكن كان هناك تنظيم وكانت هناك لوحات فى كل مكان للارشاد . ووجدنا جينو فأحضر لنا قهوة . وبعد ذلك ذهبت معه وقابلت مختلف الناس ورأيت المراكز . قال جينو ان السيارات البريطانية كانت تعمل بعيداً الى الاسفل في رافن ، وكان معجباً كثيراً بالبريطانيين . وقال انه لا يزال هناك مقدار من القصف ولـكن المصابين قليلون ، والمرضى كثيرون لابتداء المطر . والمفروض ان يهاجم النمساويون الا انه لا يعتقد بذلك . والمفروض ان نهاجم نحن ايضاً ولـكنهم لم يأتوا بأية قوات جديدة فهو يرى ان هذا قد صرف النظر عنه كذلك . الطعام كان نادراً ولذلك فقد كان يتمنى اكلة في كوريزيا ،

وسألني عن العشاء الذي تناولته فاجبته عنه فقال ان ذلك عظيم . وتأثر على الخصوص بـ « الدولس » ولم اصفها له بالتفصيل واظن انه اعتقد انها شيء اكثر جودة من حلاوة الخبز .

وسألني اذا كنت اعرف اين سيذهب ، فقلت انني لا اعرف ولكن بعض السيارات الباقية موجودة في كابورتو ، فقال انه يأمل ان يذهب في ذلك الاتجاه . كان ذلك المكان جميلا وهو يحب الجبال المرتفعة . لقد كان فتى لطيفاً وكان كل امرؤ يحبه . وقال ان جهنم الحقيقية كانت فى سان كابرييل والهجوم الى ما وراء لوم . وقال ان النمساويين كانت لديهم مدفعية كثيرة في الغابات الممتدة على طول حافة ترنوفا وراءنا وفوقنا ، وقد قصفت الطرق بشدة في الليل ، وقد كانت هناك بطارية بحرية حطمت اعصابه ومن الممكن تشخيصها لتهديفها المنبسط . وهم اعتيادياً يطلقون مدفعين في كل مرة واحد يعقب الآخر مباشرة وكانت الشظايا المتطايرة ضخمة الحجم . واراني واحدة . قطعة معدنية ملساء يبلغ طولها القدم وتبدو كأنها من السبائك الشديدة الصلابة . وقال جينو :

— انا لا افترض انها مؤثرة بهذا القدر ، ولكنها تخيفني . انها جميعاً تزمجر وكأنها ستأتي مباشرة اليك . صوت الطلقة ، ومباشـــرة يجيء الانفجار . ما الفائدة من عدم اصابتك بجرح اذا كانت تخيفك الى حد الموت ؟

وقال ان هناك كرواتيين في الخطوط المواجهة لنا ، وبعض المجريين . وقواتنا لا تزال فى مواضع الهجوم . لم يكن هناك اتصال تلفوني

ولا مكان للارتداد عندما يهجم النمساويون . لقد كانت هناك خطوط مناسبة للدفاع في الجبال الواطئة التي تحدد الساحة ولـكنه لم يتم اي تنظيم خاص بها وسألني عما اظن ببينسزا على كل حال ؟

اجبته بانني كنت اتوقع ان تكون اكثر انبساطاً ولم اكن اعلم انها مخربة بهذا الشكل .

وعدنا الى مخزن الدار التي يسكن فيها . وقلت انني ظننت ان حافة منبسطة على القمة لها عمق قليل يمكن ان يدافع عنها بسهولة اكثر من هذه السلسلة من الجبال الصغيرة . وجادلته في امكانية الهجوم في الجبال كما في السهول فقال :

— هذا يتوقف على الجبال ، انظر الى سان كابريل .

— نعم ، ولـكن المشكلة كانت في القمة حيث كانت منبسطة ، لقد وصلوا الى القمة بسهولة .

— ليس بهذه السهولة .

— نعم ، ولـكنها كانت حالة خاصة اذ كانت اشبه بالقلعة منها بجبل . لقد كان النمساويون يحصنونها لسنين عديدة . انني اعني الـكلام تكتيكياً فى حرب تجري حيث هناك مجال للحركة . سلسلة الجبال ليس فيها مجال للثبات في خط واحد فمن السهولة بمكان الاحاطة بها . يجب ان تـكون لك قدرة الحركة والجبل لا يتيح ذلك . وايضاً فان الناس يوجهون هدفهم بكثرة الى اسفل التل . لو تحول جناح الجيش لترك احسن الرجال على أعلى الجبال . انني لا اؤمن بحرب تقوم على الجبال ، لقد فكرت فيها كثيراً ،

واقول انك تسيطر على جبل ويسيطرون هم على جبل ، فاذا ما حدث شيء حقيقي اسرع الجميع الى ترك الجبل . ماذا كنت تعمل لو كانت لديك حدود جبلية ؟

فقلت انني لم اعالج هذا بعد وضحكنا سوياً ، وقلت :

— ولكن ، في الايام السالفة كان النمساويون دائماً يتلقون الضربات في المربع المحيط بفيرونا . يتركونهم يهبطون الى السهل ويضربونهم هناك .

— نعم ، ولكنهم كانوا فرنسيين . وانت تستطيع ان تعالج الامور العسكرية بوضوح عندما تكون محارباً في بلد الآخرين .

ـ نعم ، لا تستطيع انت ان تستخدم بلادك بصورة علمية ما دامت بلادك .

ـ لقد فعل الروس ذلك لاصطياد نابليون .

ـ نعم ، ولكنهم كانت عندهم بلاد واسعة ، اذا اردت ان تتراجع لاصطياد نابليون فى ايطاليا فانك ستجد نفسك في برنديزي .

ـ مكان مزعج ، هل سبق لك ان رأيته ؟

ـ لم اقم هناك .

ـ انني رجل وطني ، ولكنني لا احب برنديزي ولا تارنتو .

ـ وهل تحب بينسزا ؟

ـ اعتبر الارض مقدسة ، ولكننى اود انها لو انتجت بطاطة اكثر ، لعلك تذكر اننا عندما جئنا الى هنا وجدنا حقولا من البطاطة زرعها النمساويون .

ـ هل كان الطعام نادراً بالفعل ؟

ـ انى شخصياً لم احصل ابداً على كفايتي من الاكل ، ولكننى رجل اكول ، كما انني لم اعان الجوع · الوجبات اعتيادية والقطعات الامامية تحصل على طعام جيد ولكن هؤلاء الذين يسندونهم لا يحصلون على كفايتهم · هناك خطأ ما في مكان ما ، والا فقد كان من الواجب ان نحصل على طعام وفير ·

ـ ان كلاب البحر يبيعونه في مكان آخر ·

ـ نعم انهم يعطون المقاتلين في الخطوط الامامية اكثر ما يستطيعون . ولكن الذين فى الخلف يعانون · لقد اكلوا جميع ما زرع النمساويون من البطاطة ، وجميع ما في الغابات من البلوط · لقد كان عليهم ان يغذوهم احسن من هذا · اننا اناس اكولون ، انى متأكد من وجود طعام وفير ، من المؤسف ان يعاني الجنود من قلة الطعام · هل لاحظت الفرق في النتيجة عندما تختلف طريقتك في التفكير ؟

ـ نعم ، انها لا نربح حرباً ، ولكنها قد تخسر حرباً ·

ـ اننا لن نتحدث عن الخسارة ، لقد كان هناك حديث كثير عن الخسارة · ما صنع هذا الصيف لم يكن من الممكن ان يصنع عبثاً ·

ولم اقل شيئاً ، لقد كنت على الدوام ارتبك امام كلمات مثل «مقدس» و « مجد » و « تضحية » ، وتعبير « العبث » · لقد سمعناها ، بعض الاحيان في المطر بعيداً عن مرمى السمع بحيث لم تصل الا الكلمات العالية الصوت · وقرأناها ، في البلاغات التي كانت تلصق فوق بعضها على الجدران .

والآن بعد وقت طويل لم ار فيه اي شيء مقدس ، والاشياء التي دعيت بالمجد لم يعد فيها مجد ، والتضحيات اصبحت مثل مجازر شيكاغو عندما يترا كم اللحم الكاسد فلا يجد اصحابه مجالا الا في دفنه . لقد كانت هناك كلمات كثيرة لا تستطيع ان تتحمل سماعها ، ولم يعد الا لأسماء الاما كن كرامة واعتبار . ان الكلمات المجردة مثل « مجد » و«شرف» و«شجاعة» و « قداسة » كانت متوحشة الى جانب الاسماء الصلبة للقرى وارقام الطرق واسماء الانهار وارقام الفرق العسكرية والتواريخ . كان جينو وطنياً ، ولذلك كان ينطق باشياء تفصلنا عن بعضنا حيناً . ولكنه كان ايضاً فتى ظريفاً ، وكنت افهم حالته كوطني ، لقد ولد وطنياً . وقد تركنا بصحبة بيدوزي ليعود الى كوريزيا .

وهبت العواصف طوال ذلك اليوم ، واسقطت الريح المطر ، وكان في كل مكان ماء ووحل . كان طلاء الدور المهدمة رمادياً ومشبعاً بالماء . وتوقف المطر متأخراً بعد الظهر . ومن المركز رقم ٢ شاهدت ريف الخريف المجرد والمبلل وقد ظللت الغيوم اعالي التلال والقش على طول الطرق مبلل يقطر ماءاً . وقبل الغروب ظهرت الشمس مرة واحدة واختفت وراء الافق وبدت اشعتها على الغابات البعيدة ووراء الصخور . لقد كانت هناك مدافع نمساوية عديدة في الغابات عند الصخور ، ولكن القليل منها كان يطلق النار ، وكنت اشاهد كرات الدخان الفجائية لقنابل شرابنل في السماء فوق احد منازل الفلاحين المهدمة عند خط القتال ، كرات ناعمة مع وميض اصفر في وسطها . انك ترى الوميض ثم تسمع الفرقعة ثم ترى

كرة الدخان تتبدد مع الريح · لقد كان هناك كثير من كرات شرابنل مع بقايا الدور المهدمة وعلى الطرق حيث يقوم المركز ، ولكنهم لم يقصفوا المركز ذلك المساء · وحملنا سيارتين واتجهنا بها الى الاسفل في الطريق المسور بالحصران المبللة ، وشاهدنا آخر اشعة الشمس خلال شقوق الحصران ، وقبل ان نصل الى الطريق المفتوح وراء التل غابت الشمس · وهبطنا مع الطريق حتى دار في منعطف الى الفضاء ودخل في نفق من الحصران ، وعند ذلك هطل المطر مرة اخرى ·

هبت الريح اثناء الليل ، وفي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل حدث قصف مدفعي رافق هطول المطر ، وعبر الكرواتيون الحقول الجبلية وخلال مجموعات الاحراش الى داخل الخطوط الامامية · وقد كانوا يحاربون في الظلام وتحت المطر ، وردتهم هجمات مضادة من الجنود المرتاعين في الخط الثاني · وكان هناك قصف كثير وطلقات الرشاشات والبنادق على طول خط القتال · ولم يعودوا مرة اخرى وساد الهدوء · ومن بين زمجرة الريح والمطر كنا نسمع صوت قصف بعيد الى الشمال ·

ونقل الجرحى الى المركز ، كان بعضهم على النقالات ، وبعضهم يسيرون على اقدامهم ، والبعض الآخر كان محمولا على ظهور الرجال الذين جاءوا عبر الميدان · لقد كان البلل قد بلغ جلودهم ، وكانوا جميعاً يتملكهم الروع · وملأنا سيارتين بالنقالات التي جلبت من سرداب المركز ، وعندما اغلقت باب السيارة الثانية وثبته شعرت بالمطر على وجهي وقد تحول الى جليد ، كانت الرذاذ تأتي ثقيلة وسريعة مع المطر ·

وعندما طلع ضوء الصباح كانت الريح لا تزال تهب بشدة ، ولكن الثلج كان قد توقف ، كان قد ذاب على الارض المبللة ، وكان المطر إذ ذاك يهطل مرة اخرى . وحدث هجوم جديد مباشرة بعد الصباح ولكنه كان فاشلا . وكنا ننتظر هجوماً آخر طوال اليوم ولكن لم يحدث حتى ميلان الشمس الى الغروب . بدأ القصف من الجنوب اسفل الحافة المغطاة بالاشجار حيث كانت مدفعية النمساويين مركزة ، وكنا ننتظر قصفاً آخر ولكن لم يحدث ، كان الظلام ينتشر ، وكانت المدافع تطلق من الميدان الواقع خلف القرية وكانت القنابل وهي تسقط بعيداً تحدث صوتاً قليلا .

وسمعنا ان الهجوم الجنوبي كان فاشلا ، ولم يهاجموا تلك الليلة ولكننا سمعنا انهم اخترقوا الخطوط نحو الشمال . وفي الليل جاءتنا كلمة بان نستعد للتراجع ، قال لي ذلك قائد المركز ، وقد تلقاها من آمر اللواء ، وجاء بعد برهة من التلفون وقال انها كانت كذبة ، لقد تسلم آمر اللواء الاوامر بوجوب التمسك بخط بيذسزا مهما كلف الامر ، وسألت عن الاختراق ، فقال القائد انه سمع بان النمساويين قد اخترقوا خطوط الجيش السابع والعشرين في اتجاه كابورتو . وكانت هناك معركة محتدمة في الشمال طوال ذلك اليوم .

قال :

ـ لو ان هؤلاء الانغال سمحوا لهم بالمرور فسيدمروننا .

وقال احد الضباط الاطباء :

ـ انهم الالمان الذين يهاجموننا الآن ·

لقد كانت كلمة « الالمان » مخيفة ، لم نكن نريد ان نتصل بالالمان باي شكل · وقال الضابط الطبيب مرة اخرى :

ـ هناك خمس عشرة فرقة من الالمان ، انهم قد اخترقوا خطوطنا وسيطوقوننا · لقد ذكروا في المقر ان هذا الخط يجب ان يبقى بايدينا ، قالوا انهم لم يتوغلوا كثيراً ، واننا سنحتفظ بخط عبر الجبال من مونت ماكيور ·

ـ اين سمعوا بهذا ؟

ـ من الفرقة ·

ـ ان الكلمة التي جاءت بالتراجع كانت من الفرقة ·

قلت :

ـ اننا نعمل تحت امرة القيادة ، ولكنني هنا اعمل تحت امرتك ، عندما تريدني ان اذهب فسأذهب ، ولكن تأكد من الاوامر ·

ـــ الاوامر ان نبقى حيث نحن ، انقل الجرحى الى محطة الاخلاء ·

ـــ بعض الاحيان ننقل ايضاً من محطة الاخلاء الى مستشفى الميدان · قل لي ، انني لم ار تراجعاً حتى الآن ، اذا حدث تراجع فكيف يتم اخلاء الجرحى ؟

ـ انهم لا يخلونهم جميعاً ، انهم يأخذون العدد الذي يستطيعون نقله ويتركون الباقي ·

ـ ماذا آخذ في السيارات ؟

ـ أدوات المستشفى .

ـ حسناً . .

وفي الليلة التالية بدأ التراجع . علمنا أن الالمان والنمساويين قد اخترقوا الخطوط من الشمال ، وكانوا يزحفون عبر الوديان نحو سفيدال واودين . كان التراجع منظماً ، في الليل كنا نسير ببطء على طول الطرق المزدحمة ونمر بالقطعات تسير تحت المطر ، المدافع ، الخيل تجر العربات ، البغال ، اللوريات ، كلها متجهة بعيداً عن الجبهة ، لم تكن هناك فوضى أكثر مما في التقدم .

في تلك الليـلة ساعدنا في اخلاء المستشفيات المقـامة في القرى التي لم تخرب كثيراً ، آخذين الجرحى الى بلاڤا الواقعة قرب النهر ، وفي اليوم التالي عملنا النهار كله تحت المطر في إخلاء المستشفيات ومحطة الاخلاء في بلاڤا . وكان المطر يهطل على الدوام . وتحرك جيش بينسزا الى الاسفل في مطر تشرين الاول وعبر النهر حيث بدأت الانتصارات الـكبيرة في ربيع ذلك العام . ووصلنا كوريزيا في منتصف النهار التالي . كان المطر قد توقف ، وكانت المدينة خالية تقريباً . وعندما اخترقنا الشارع كانوا ينقلون الفتيات من بيت « ترفيه الجنود » الى أحد اللوريات ، كانت هناك سبع فتيـات وقد لبسن قبعاتهن ومعاطفهن وكن يحملن الحقائب الصغيرة ، كانت إثنتان منهن تبكيان ، وابتسمت إحداهن لنا وحركت لسانها في فمها إلى أعلى وإلى أسفل ، كانت لها شفتان غليظتان ممتلئتان وعينان واسعتان .

وأوقفت السيارة وذهبت إلى المديرة وتكلمت معها ، قالت إن فتيات دار الضباط غادرن باكراً ، إلى أين يذهبن ؟ قالت إلى كونكليانو . وسار

اللوري ومدت الفتاة ذات الشفتين الغليظتين لسانها لنـــا ، ولوحت المديرة يدها ، واستمرت الفتاتان الباكيتان في بكائهما ، ونظرت الباقيات باهتمام الى المدينة ، وعدت الى السيارة . قال بونيللو :

ـ كان يجب أن نذهب معهن ، لـكانت إذن رحلة حسنة .

ـ ستكون رحلتنا حسنة .

ـ رحلة جهنمية .

ـ هذا ماعنيته .

ووصلنا إلى الفيللا ، وكن خارجها ، وقال بونيللو :

ـ الجميع يعرفون المديرة ، يسمونها الام العليا ، والفتيات جديدات ولـكن الجميع يعرفونها ، لابد انهم أتوا بهن قبل التراجع بقليل .

ـ انهن سيتمتعن ، بوقتهن .

ـ انهن سيتمتعن ، أود أن أقضي معهن وقتاً مقابل لا شيء ، انهم يتقاضون هناك غالياً على كل حال ، ان الحـكومة تغشنا .

ـ خذ السيارة خارجاً ودع الميكانيكيين يفحصونها ، غير الزيت واختبر المغيرات ، إملأها واذهب بعد ذلك لتنام .

ـ نعم ياسنيور تننت .

كانت الفيللا خالية ، كان رينالدي قد ذهب مع المستشفى ، وكان القائد قد ذهب مع هيئة المستشفى في سيارة القيادة . كانت هناك تذكرة لي في النافذة بأن أملا السيارات بالمواد المكومة فى الصالون وأن أذهب الى بوردينون. لقد ذهب الميكانيكيون منـــذ مدة ، وذهبت مرة أخرى الى الـكراج ،ودخلت السيارتان أثناء ذلك ونزل سائقاها ، وكان المطر قد بدأ من جديد . قال بياني :

ـ إنني نعسان الى درجة إنني كدت أنام ثلاث مرات في طريقي من بلاقا ، ماذا سنعمل يا تننت ؟

ـ سنبدل الزيت ، نشحمها ونملؤها ، ومن ثم نأخذها إلى أمام الفيللا ونحملها بما تركوه .

ـ وبعد ذلك ؟

ـ سننام ثلاث ساعات .

ـ يا للمسيح ، إنني مسرور بالنوم ، لا أستطيع أن أسوق قبل أن أنام .

ـ كيف حال سيارتك يا أيومو ؟

ـ إنها على ما يرام .

ـ إعطني بدلة عمل وسأساعدك فى التشحيم .

ـ لا تفعل ذلك يا تننت ، إنها لاشيء ، إذهب واجمع أشياءك .

ـ أشيائي معدة ، سأذهب وأحمل ما تركوه ، جيء بالسيارات حالما تنتهي من عملك .

وجاءوا بالسيارات أمام الفيللا ، وحملناها بأدوات المستشفى المكومة فى الصالون ، وعندما انتهينا وقفت السيارات الثلاث في خط واحد فى الطريق تحت الاشجار ، ودخلنا الى الفيللا . وقلت لبياني :

ـ إشعل ناراً فى المطبخ وجفف أشياءك .

ـ إنني لا أهتم بالملابس الجافة ، أريد أن أنام .

ـ سأنام في فراش القائد ، حيث كان العجوز يسكر .

قال ذلك بونيللو ، أما بياني فقال :

- لست مهتماً أين أنام .

- هناك فراشان هنا .

وفتحت الباب ، وقال بونيللو :

- لم أعرف قط ما كان في هذه الغرفة .

وقال بياني :

- لقد كانت غرفة العجوز الخاصة .

قلت :

- أنتما الاثنان ستنامان في هذه الغرفة وسأوقظكما .

- سيوقظنا النمساويون إذا استغرقت في النوم يا تننت .

- لن استغرق فى النوم . أين أيومو ؟

- ذهب الى المطبخ .

- حاول أن تنام .

قال بياني :

- سأنام حتماً ، لقد كنت نائماً وأنا جالس طوال اليوم ، لقد ظل أعلى رأسي يزحف على الدوام على عيني .

قال بونيللو :

- إنزع حذاءك ، هذا فراش العجوز .

- لا يعني العجوز شيئاً عندي .

قال ذلك بياني وتمدد على الفراش وحذاؤه الموحل في رجليه ، ورأسه

فوق ذراعيه . وذهبت الى المطبخ فوجدت أيومو قد أشعل النار فى الموقد ووضع وعاء الماء عليه ، قال :

ـ لقد فكرت بالبدء بتحضير بعض الطعام ، سنشعر بالجوع عندما نستيقظ .

ـ ألا تشعر بالجوع يا بارتلميو ؟

ـ ليس كثيراً ، عندما يغلي الماء سأتركه وستخفت النار بعدئذ .

ـ من الافضل أن تذهب لتنام ، سنأكل جبناً ولحماً بارداً .

ـ هذا أحسن ، ان الفوضويين هناك يحتاجان إلى شيء ساخن ، إذهب ونم يا تننت .

ـ هناك فراش في غرفة القائد .

ـ نم أنت هناك .

ـ كلا ، سأذهب الى غرفتي القديمة فى الطابق الثاني ، ألا تريد شراباً يا بارتلميو ؟

ـ عندما تذهب يا تننت ، لا ينفعني الشراب الآن .

ـ إذا استيقظت خلال ثلاث ساعات ولم أدعك ، أيقظني .

ـ ليست لدي ساعة يا تننت .

ـ هناك ساعة على الحائط في غرفة القائد .

ـ حسناً .

وخرجت عبر غرفة الطعام والصالون وصعدت السلم الرخامي الى الغرفة التي عشت فيها مع رينالدي . كان المطر يهطل فى الخارج ، وذهبت إلى

النافذة وتطلعت الى الخارج ، كان الظلام يشتد وأبصرت السيارات الثلاث تحت الاشجار ، كانت الاشجار تقطر ماءاً . كان الجو بارداً وكانت قطرات المـــاء تتعلق بالأغصان . وعدت إلى فراش رينالدي وتمددت واستغرقت فى النوم .

وقبل أن نبدأ رحلتنا أكلنا فى المطبخ ، كان أيومو قد أعد صحناً من السباكتي مع البصل واللحم المعلب مطبوخاً معه . جلسنا حول المائدة وشربنا زجاجتين من النبيذ كانتا قد تركتا في سرداب الفيللا . كان الظلام مخيماً فى الخارج والمطر لايزال يهطل . وجلس بيـــاني الى المائدة والنعاس مستول عليه . قال بونيللو :

- إنني أحب التراجع أكثر من التقدم ، فى التراجع نشرب باربيرا .

قال أيومو :

- إننا نشربها الآن ، غداً قد نشرب ماء المطر .

- غداً سنكون في أودين ، سنشرب شمبانيا . هناك يعيش الهاربون من الحرب . إستيقظ يا بياني ، سنشرب شمبانيا غداً في أودين .

- إنني مستيقظ .

قال ذلك بياني وملأ صحنه بالسباكتي واللحم .

- ألم تجد سلطة طماطة يا بارتو ؟

- لم أجد شيئاً منها .

وقال بونيللو :

- سنشرب شمبانيا يا أودين .

وملأ كأسه بالباربيرا الصافية الحمراء.

ـ هل أكلت جيداً يا تنتت ؟

ـ لقد أكلت كفايتي ، إعطني الزجاجة يا بارتلميو .

ـ لدي زجاجة احتفظت بها لنأخذها معنا في السيارة .

ـ ألم تنم أبداً ؟

ـ لا أحتاج الى نوم كثير ، لقد نمت قليلا .

قال بونيللو :

ـ سننام غداً في فراش الملوك .

كان بونيللو يشعر بالارتياح ، وقال وهو ينظر إلي :

ـ سأنام مع الملكة .

ـ صه ، إنك تغرق في الهزل عندما تشرب .

كان المطر يهطل بشدة في الخارج ، نظرت الى ساعتي فوجدتها تشير إلى التاسعة والنصف .

ـ أزف وقت المسير .

ونهضت واقفاً ، فقال بونيللو :

ـ مع من ستركب يا تننت ؟

ـ مع أيومو وستعقبنا أنت ثم بياني ، سنتجه الى كورمونز .

قال بياني :

ـ أخاف أن أنام .

ـ حسناً سأركب معك ويعقبنا بونيللو ثم أيومو .

ـ هذا أفضل لأنني أشعر بالنعاس الشديد .

ـ سأسوق أنا ونم أنت قليلا .

ـ كلا ، أستطيع أن أسوق مادمت أعرف أن هناك من سيوقظني عندما أميل الى النوم .

ـ سأوقظك ، إطفىء الأضواء يا بارتو .

ـ يمكنك أيضاً أن تتركها ، سنهجر هذا المكان .

ـ لدي صندوق صغير في غرفتي ، ألا تساعدني في إنزاله يا بياني ؟

ـ سنأتي به ، تعال معي يا الدو .

وذهب مع بونيللو إلى الصالون وسمعتها يصعدان السلم . قال بارتلميو أيومو :

ـ لقد كان مكاناً جميلا .

ووضع زجاجتي نبيذ وجبناً في حقيبته .

ـ لن نجد مكاناً مثله ، إلى أين ستراجعون يا تننت ؟

ـ إلى ما وراء تاكليامنتو كما قالوا ، سيكون المستشفى في بوردينون .

ـ هذه أحسن من بوردينون .

ـ لا أعرف بوردينون ، لقد مررت بها فقط .

ـ ليست مكاناً مريحاً .

— ٤ —

كانت المدينة خاليـــة عندما سارت بنا السيارات خلال شوارعها تحت المطر ، عدا خطوط من الجنود والمدافع تعبر الشارع الرئيسي . كانت هناك لوريات عديدة وسيارات تعبر الشوارع الفرعية الى الشارع الرئيسي . وعندما بلغنا خارج المدينة واجتزنا المدبغة وبلغنا الطريق العام ، كان الجنود واللوريات وعربات الخيل والمدافع في خط عريض يتحرك ببطء . وسرنا ببطء ولـكن باستمرار تحت المطر ، وكانت ماكنة سيارتنا تـكاد تمس لورياً محملا ومغطى بالمشمع ، وقد توقف اللوري ، وتوقف الخط كله . وبدأ مرة أخرى وتقدمنا قليلا ثم توقفنا . ونزلت من السيارة وسرت الى الامام بين اللوريات والعربات وتحت رقاب الخيل المبللة ،كانت هذه الـكتلة تمتد بعيداً . تركت الطريق وعبرت الساقية المجاورة وسرت في الحقول بجانب الطريق وكنت أرى الخط الساكن بين الاشجار فى المطر وأنا أسير فى الحقول . سرت ما يقرب من الميل ولم يتحرك الخط وإن كنت أرى الجنود وراء الخط يسيرون . عدت الى السيارات . ان هذا الخط ربما امتد حتى اودين . كان بيـــاني نائماً على عجلة القيادة ، وتسلقت الى جانبه ونمت . بعد عدة ساعات سمعت اللوري الواقف أمامنا يتحرك . أيقظت بياني وبدأنا السير من جديد لبضع ياردات ثم توقفنا ، وسرنا بعد ذلك . كان المطر لايزال يهطل .

وتوقف الخط مرة أخرى فى الليـــل ولم يتحرك . نزلت من السيارة وذهبت لأرى أيومو وبونيللو . كان مع بونيللو عريفان ميكانيكيان فى السيارة ، وعندما رأياني أخذا وضع الاستعداد .

ـ لقد تركا العمل في أحد الجسور ، ولم يجدا وحدتها فحملتهما معي فى السيارة .

ـ هل يأذن بذلك سيدي الضابط ؟

ـ نعم .

قال بونيللو :

ـ الضابط أمريكي ، انه يأذن لكل شخص بالركوب . وابتسم أحد العريفين ، وسأل الآخر بونيللو ما إذا كنت إيطالياً من شمال أمريكا أو جنوبها .

ـ انه ليس ايطالياً ، انه انكليزي من شمال امريكا . كان العريف مؤدباً ولكنه لم يصدق ذلك . تركتهم وعدت الى أيومو ، كانت معه فتاتان فى السيارة ، وكان جالساً فى المقعد الخلفي يدخن .

ـ بارتو ، بارتو .

فضحك وقال :

ـ تكلم معها يا تننت ، لم أستطع أن أفهم كلامها .

ووضع يده على ساق إحدى الفتاتين وضغط عليها برقة ، وجذبت الفتاة شالها حول كتفيها وأبعدت يده عنها .

ـ هيه ، اخبري تننت باسمك وماذا تعملين هنا .

ونظرت الفتاة إلي بوحشية ، وخفضت الفتاة الاخرى بصرها . وتكلمت الفتاة التي كانت تنظر إلي بلغة لم أفهم منها حرفاً . كانت ممتلئة الجسم سمراء في حوالي السادسة عشرة . قلت مشيراً الى الفتاة الاخرى :

ـ سوريلا ؟

فأومأت برأسها وابتسمت . قلت :

ـ حسناً .

وربت على ركبتها . شعرت بها تتكمش عندما لمستها . ولم ترفع الاخرى بصرها أبداً ، كانت تبدو أصغر سناً . وضع ايومو يده على ساق الكبيرة فدفعتها عنها فضحك منها . قال مشيراً الى نفسه :

ـ رجل طيب .

وأشار إلي وقال نفس القول واردف :

ـ لا تخافي .

ونظرت الفتاة بوحشية ، كانت كلتاهما تشبهان طائرين بريين . وسأل أيومو :

ـ لماذا إذن ركبت معي إذا كانت لا تميل إلي ؟ لقد دخلتا السيارة حالما تحركت نحوها . لا تخافي لن يكون هناك ...

ولفظ كلمة بذيئة ، وبدا على الفتاة انها فهمتها وبدا الخوف في عينيها وجمعت شالها حول عنقها .

ـ السيارة مملوءة فلا محل لـ ...

وكلما لفظ الكلمة انكمشت الفتاة ، ونظرت اليه وبدأت تبكي . ورأيت شفتيها تتحركان ثم انهمرت دموعها على خديها الممتلئين . وتناولت اختها يدها من دون ان ترفع بصرها وجلستا متجاورتين ، وبدأت الكبرى تنتحب . قال أيومو :

ـ أظن انني أخفتها ، إنني لم أقصد إخافتها .

وجذب بارتلميو حقيبته وأخرج قطعة من الجبن وقسمها وقدمها لهما :

ـ خذي ، لاتبكي .

وهزت الكبرى رأسها واستمرت فى البكاء ، اما الصغرى فقد اخذت قطعة الجبن وبدأت بالأكل . وبعدلحظة اعطت الصغرى اختها القطعةالاخرى من الجبن وأخذتا تأكلان معاً ، وكانت الكبرى لاتزال تنتحب قليلا .

ـ ستكون على مايرام بعد مدة .

وخطرت له فكرة :

ـ عذراء ؟

فأومأت الكبرى برأسها بشدة ، فأشار الى اختها مردداً نفس السؤال فأومأت الاختان بالايجاب معاً . وقالت الكبرى كلمة بلهجتها . وقال :

ـ حسناً ، هذا حسن .

وبدت الفتاتان مسرورتين .

وتركتهما جالستين معاً وأيوموجالساً في المقعد الخلفي وعدت الى سيارة بياني . ولم يكن خط العربات قد تحرك ولكن الجنود كانوا لايزالون يمرون الى جانب الخط . كان المطر لايزال يهطل بشدة وخطر لي أن ربما كان التوقف بسبب بلل أسلاك بعض السيارات . وربما بسبب نوم الخيل والرجال . لقد كانتا فتاتين جميلتين مع أيومو . لم يكن التراجع يناسب العذارى . ربما كانتا متدينتين . لولم تكن هناك حرب لكنا جميعاً في غرف النوم ، في الفراش ، التي برأسي على الفراش . الفراش واللوح . كاللوح في

الفراش . كاترين الآن في الفراش وسط الشراشف ، فوقها وتحتها . على أي جانب تنام ؟ قد لا تكون نائمة الآن . ربما كانت مستلقية على الفراش تفكر في . ثوري ثوري ثوري يا رياح الغرب . وهبت الريح واستمر المطر طوال الليل . يا للمسيح لو ان حبي كان بين ذراعي في الفراش مرة اخرى ، حبي كاترين ، « ليلة سعيدة يا كاترين » قلتها بصوت عال « آمل أن تنامي جيداً ، وإذا لم تكوني مرتاحة يا حبيبتي فنامي على الجانب الآخر . سآتيك ببعض الماء البارد . قريباً سيطلع الصباح ولن يكون الأمر آنئذ بهذا السوء ، آسف لأنك غير مرتاحة . حاولي أن تنامي قليلا يا حبيبتي . »

اخبرتني إنني كنت نائماً طوال الوقت ، وقالت لي إنني كنت أتكلم في نومي . هل أنت بخير ؟ هل أنت فعلا هناك ؟ بالطبع أنا هنا . إنني لن اذهب من هنا . هذا لا يفرق بيننا .

إنك لطيف و « حبوب » . إنك لن تذهب في الليل أليس كذلك ؟

بالطبع لن اذهب من هنا . انا دائماً هنا . إنني آتي كلما اردتني . قال بياني :

ـ .... ، لقد بدأوا من جديد .

ـ لقد كنت مخدراً .

ونظرت الى ساعتي ، لقد كانت الساعة الثالثة صباحاً ، ومددت يدي الى الخلف لأتناول زجاجة من الباربيرا .

ـ لقد تكلمت بصوت عال .

ـ لقد كنت أحلم « بالانكليزية » .

كان المطر قد فتر وكنـــا نتحرك الى الامام · قبل الفجر توقفنا مرة أخرى · وعندما طلع ضوء النهار وجدت اننا قد وقفنا على مرتفع صغير وامامنا يمتد طريق التراجع بعيداً ، وكل شيء ساكن عدا المشاة الذين يسيرون خلال الخط · وبدأنا السير مرة أخرى ، ولـكنني وجدت ان هذا التقدم البطيء يحتم علينا الخروج من الخط والسير عبر الريف ، اذا اردنا ان نصل فعلا الى أودين ·

وفى الليل انضم عدد من الفلاحين الى الخط آتين من الطرق الريفية وكانت معهم عربات محمـــلة بأدوات بيتية · كانت هناك مرايا تطل من بين الافرشة المتراكمة ، والدجاج والبط مربوطة الى العربات · وكانت هنـــاك ماكنة خياطة على العربة التي كانت أمامنا تحت المطر · لقد أنقذوا خير ماديهم من الاشياء · وعلى بعض العربات جلست النساء متلاصقات من المطر ، واخريات كن يسرن بجانب العربات ملتصقات بها ، وكانت هناك كلاب الآن فى الخط تحتمي تحت العربات اثنـــاء سيرها · وكان الطريق موحلا وكانت السواقي على الجوانب ممتلئة بالماء ووراء الأشجار التي تحيط بالطريق كانت الحقول تبدو مبللة جداً وموحلة صعبة الطروق · ونزلت من السيارة وسرت على الطريق بعض الوقت باحثاً عن طريق جانبي نستطيع السير فيه عبر الريف · كنت ادري بوجود عدة طرق جانبية ولكنني لم أكن ارغب في طريق لايؤدي بنا الى نتيجة · لم استطع ان اتذكرها لأننا كنا دائماً نجتازها بالسيارات بسرعة على الطريق الرئيسي ، وكلها كانت تبدو متشابهة · واعرف الآن ان علينا ان نجد احدها اذا املنـا ان نتخلص من ورطتنا · لم يكن

هنـــاك من يعرف أين اصبح النمساويون او كيف هو الوضع على العموم ولكنني كنت واثقاً بأنه اذا توقف المطروجاءت الطائرات فسينتهي كل شيء . لقد كان يجب ان يخرج بعض الرجال من عرباتهم وتقتل بعض الافراس لاعادة الحركة الى الخط .

لم يكن المطر يهطل بشدة الآن وفكرت بأنه قد يتوقف . وذهبت قدماً بجانب الطريق . وعندما وجدت طريقاً جانبياً صغيراً يؤدي الى الشمال بين حقلين ، مغطى بالأشجار على جانبيه ، فكرت بأنه من الافضل السير فيه . وعدت مسرعاً الى السيارات وطلبت من بياني ان يذهب ليخبر بونيللو وايومو ، وقلت :

ـ اذا لم يؤد بنا الى مكان فسنعود عبره الى الخط .

قال بونيللو :

ـ وماذا نفعل بهؤلاء ؟

وأشار الى العريفين اللذين كانا معه . كانا غـــير حليقين ولكنهما كانا محتفظين بمظهرهما العسكري .

ـ سيساعدانا فى الدفع .

وعدت الى ايومو واخبرته فسأل :

ـ وماذا عن عائلتي العذراء ؟

وكانت الفتاتان نائمتين .

ـ انهما لا تفيدان ، انك تحتاج الى من يستطيع الدفع .

ـ تستطيعان العودة بالسيارة ، هناك محل كاف فيها .

ـ حسناً ، اذا كنت تريدها ، إحضر شخصاً ذا ظهر عريض للدفع ·

ـ كيف انت يا تنتت ؟

ـ بخير ، وانت ؟

ـ بخير ولكنني جائع جداً ·

ـ لا بد ان يكون هناك مايؤكل في ذلك الطريق ·

ـ كيف رجلك يا تنتت ؟

ـ بخير ·

كنت واقفاً على سلم السيارة ونظرت الى الامام فاستطعت ان ارى سيارة بياني تزحف الى الطريق الجانبي وتبدأ السير فيه وتبعه بونيللو وبعد ذلك سار بياني في طريقه فتبعناهما عبر الطريق الضيق بين الاشجار · وتوقف بياني وبونيللو في ساحة إحدى الدور · كانت الدار منخفضة وطويلة ، وحولها كروم وفي الساحة بئر · وكان بياني يستخرج الماء لملء خزان سيارته فقد أدى السير البطيء الى بعث الحرارة فيهـا · كانت الدار مهجورة · ونظرت الى الوراء ، كان البيت الريفي على نجد مرتفع فوق السهل ورأينا الطريق والأشجار والحقول وخط العربات وكان العريفان يجولان في الدار واستيقظت الفتاتان · وخرج أحد العريفين وبيده ساعة كبيرة قأمرته باعادتها ، فنظر إلي وعاد الى الدار وخرج بدونها ·

ـ أين رفيقك ؟

ـ لقد ذهب الى المرحاض ·

وامتطى السيارة فقد كان يخاف أن نتركه ونذهب · وقال بونيللو :

ـ ماذا عن الفطور يا تذنت ؟ نستطيع أن نأكل شيئاً ، ان هذا لن يعطلنا .

ـ هل تعتقد بأن هذا الطريق سيؤدي الى نتيجة ما ؟

ـ بالتأكيد .

ـ حسناً ، دعنا نأكل .

ذهب بياني وبونيللو الى الدار ودعا أيومو الفتاتين وساعدهما على النزول من السيارة وكانتا تنظران الينـــا ونحن نسير أمامها . كانت الدار كبيرة ومظلمة وكان بياني وبونيللو في المطبخ . قال بياني :

ـ ليس هناك أكل كثير ، لقد نظفوا البيت قبل أن يرحلوا .

كان بونيللو يقطع قطعة كبيرة من الجبن الابيض على الطاولة الثقيلة .

ـ أين كان الجبن ؟

ـ في السرداب ، وقد وجد بياني تفاحاً ونبيذاً ايضاً .

ـ هذا فطور جيد .

كان بياني ينزع سدادة زجاجة كبيرة من النبيذ وملأ قدحاً معدنياً وقال :

ـ إنها ذات رائحة لا بأس بها ، جد لنا بعض الأقداح يابارتو .

ودخل العريفان فقدم لهما بونيللو جبناً فقال أحدهما وهو يأكل الجبن ويجرع النبيذ :

ـ علينا أن نذهب .

فقال بونيللو :

ـ سنذهب ، لا تخف ·

وقلت :

ـ الجيش يتنقل على معدته ·

قال أحد العريفين :

ـ ماذا ؟

ـ من الأفضل أن نأكل ·

ـ نعم ولكن الوقت ثمين ·

قال بياني :

ـ أظن ان الانغال أكلوا قبلا ·

ونظر العريفان اليه ، لقد كانا يكرهاننا جميعاً · وقال لي أحدهما :

ـ هل تعرف الطريق ؟

ـ كلا ·

فنظر أحدهما الى الآخر ، وقال الاول :

ـ من الأفضل أن نبدأ السير ·

ـ سنبدأ فعلا ·

وتناولت قدحاً آخر من النبيذ الأحمر ، كان طعمه لذيذاً بعد الجبن والتفاح ·

ـ اجلب معك الجبن ·

قلت هذا وخرجت ، وخرج بونيللو حاملا وعاء النبيذ الضخم ، فقلت له :

ـ هذا كبير جداً ·

ـ أظن ذلك . اعطني الزمزميات لملئها .

وملأ الزمزميات وسال بعض النبيذ على الارض الصخرية . وأخذ وعاء النبيذ ووضعه خلف باب الدار .

ـ سيجده النمساويون من دون أن يكسروا الباب .

ـ سنبدأ السير ، سنكون أنا وياني في المقدمة .

كان الميكانيكيان قد جلسا فعلا في سيارة بونيللو ، وكانت الفتاتان تأكلان جبناً وتفاحاً وكان أيومو يدخن . وبدأنا السير في الطريق الضيق ونظرت الى الخلف الى السيارتين والدار الريفية . كانت داراً جميلة منخفضة حجرية وكان سور البئر الحديدي جيداً . كان الطريق أمامنا ضيقاً وموحلا وحوله الاشجار العالية على الجانبين كانت السيارتان خلفنا تتبعانا عن قرب .

- ٥ -

عند الظهر كنا قد غرنا في الوحل على بعد عشرة كيلومترات من اودين — كما استطعنا أن نقدر — كان المطر قد توقف قبيل الظهر وسمعنا ثلاث مرات صوت الطائرات القادمة ورأيناها تمر فوق رؤسنا وراقبناها تتجه الى اليسار وسمعناها تقصف الطريق الرئيسي . وقد سرنا في شبكة من الطرق الثانوية وسرنا في كثير من الطرق المنقطعة ، ولكننا كنا على الدوام نقترب من أودين . وفي إحدى محاولاتنا العودة من طريق منقطعة صادفتنا أرض لينة فغارت فيها العجلات عميقاً حتى بلغ هيكل السيارة الارض . كان علينا الآن أن نحفر أمام العجلات و نضع بعض الاغصان لتستطيع السلاسل أن تعمل ومن ثم ندفع حتى تصل السيارة الى الطريق . كنا جميعاً حول السيارة . كان العريفان ينظران الى السيارة ويفحصان العجلات وذهبا بعيداً بدون كلمة ، فتبعتهما وقلت لهما :

ـ هيا ، اقطعا بعض الأغصان .

ـ يجب أن نذهب .

ـ اقطعا الاغصان !

ـ يجب أن نذهب .

قال ذلك أحدهما وسكت الآخر ، كانا يستعجلان الذهاب ولم يكونا ينظران إلي .

ـ آمركما أن ترجعا وتقطعا الاغصان .

ـ علينا أن نذهب ، عن قريب ستتوقفون . أنت لا تستطيع أن

تأمرنا فأنت ليس ضابطنا .

ـ آمركما أن تقطعا الاغصان .

فأدارا ظهريهما وذهبا بعيداً .

ـ قفـــا !

ولكنهما تابعا السير على الطريق الموحل .

ـ آمركما أن تقفا !

فأسرعا في سيرهما قليلا ، ففتحت معطفي وتناولت مسدسي وصوبت نحو الأول الذي تكلم كثيراً وأطلقت النار . أخطأت الهدف وبدأ الاثنان يركضان . أطلقت ثلاث مرات وأصبت أحدهما واختفى الآخر خـــلال الاشجار فأطلقت عليه خـــلال الاشجار وهو يركض في الحقول وفرغ المسدس فملأته ولكنني وجدت الآخر قد ابتعد عن نطاق النار وبدأت أملأ المشط الفارغ . جاء بونيللو .

ـ دعني أذهب لاخلصه .

فناولته المسدس وسار الى حيث كان العريف الميكانيكي مستلقياً على وجهه في الطريق وانحنى بونيللو ووضع المسدس على صدغه وجذب الزناد فلم ينطلق المسدس . فطلبت منه أن يعالج العتلة . وأطلق مرتين . وجذبه من رجليه الى جانب الطريق وعاد وسلمني المسدس .

ـ ابن العاهرة ، هل رأيتني أطلق عليه يا تننت ؟

ـ يجب أن نأتي بالاغصان بسرعة . هل أصبت الآخر ياترى ؟

ـ لا أظن ذلك ، كان أبعد من أن يصله طلق المسدس .

وقال بياني :

ـ ذلك القذر .

وكنا جميعاً نقطع الاغصان . وأفرغنا السيارة وكان بونيللو يحفر أمام العجلات وعندما انتهينا بدأ أيومو بتشغيل السيارة ودارت العجلات في الفراغ . ودفعنا أنا وبونيللو حتى تقطعت أنفاسنا ولم تتحرك السيارة . قلت :

ـ هزها الى الامام والخلف يا بارتو .

وأخذ يحول الماكنة الى الامام والخلف ولكن العجلات لم تزد عن أن تحفر الى أسفل وتدور بطلاقة في الحفر التي صنعتها .

ـ سنحاول جرها بحبل .

ـ لا اعتقد بفـائدة ذلك يا تننت ، فانك لن تستطيع سحبها بخط مستقيم .

ـ علينا أن نجرب ذلك . ليس هناك أية طريقة اخرى .

وربطنا السيارة بالسيارتين الاخريتين ولكن عجلاتها لم تتحرك الا الى جانب . صرخت :

ـ لافائدة . قف .

ونزل بياني وبونيللو من سيارتيهما وجاءآ الينا ونزل أيومو . كانت الفتاتان جالستين على صخرة على بعد اربعين ياردة .

ـ ماذا تقول يا تننت ؟

ـ سنحفر مرة اخرى ونضع اغصاناً اخرى .

ونظرت الى الطريق ،كانت غلطتي ، لقد قدتها الى هنا · كانت الشمس تختفي وراء السحب وبدت جثة العريف ممددة الى جانب الطريق ·

ـ سنضع معطفه تحت العجلات ·

وذهب بونيللو لاحضار المعطف · وقطعت أنا بعض الاغصان وحفر أيومو وبياني امام العجلات· ووضعت قطع المعطف تحت العجلات وكومت الاغصان أمام العجلات · كنا على اهبة البـــدء وصعد ايومو الى السيارة وشغل الماكنة ودفعنا نحن السيارة ولكنها لم تتحرك ابداً · قلت :

ـ لقد انتهى امرها ، هل لديك اشياء اخرى فى السيارة يا بارتو ؟

فصعد ايومو وبونيللو وجاء بالجبن وزجاجتي النبيذ ومعطفه · قلت :

ـ ماذا عن عذارى بارتو ؟

ـ تستطيعان الجلوس فى الخلف ، لا اظن اننا سنسير كثيراً ·

وفتحت البـــاب الخلفي للسيارة ودعوت الفتاتين الى الصعود فصعدتا وجلستا فى الزاوية وقد بدا عليها وكأنها لم تشاهدا اطلاق النار · ونظرت الى الخلف ، كان العريف ممدداً بنا نيلته الوسخة ذات الاردان الطويلة · وصعدت مع بياني وبدأنا السير · كنا نحاول عبور الحقول · عندما وصل الطريق الى الحقل نزلت ونظرت الى الامام · كان هناك طريق آخر على جانب الحقل البعيد ، ولكننا لا نستطيع اجتياز الحقل فقـــد كانت ارضه لينة جـــداً وموحلة · وعندما توقفت السيارتان في وسط الحقل تركناها وسرنا على اقدامنا الى اودين ·

عندما وصلنا الى الطريق الذي يقود الى الطريق الرئيسي اشرت الى الفتاتين ·

ـ إذهبا من هنا . ستقابلان اناساً .

فنظرتا إلي ، فأخرجت محفظتي واعطيت كلا منهما عشرة ليرات وطلبت منهما الذهاب . لم تفهما كلامي ولكنهما أمسكتا بالنقود بشـــدة وسارتا فى الطريق ، ونظرتا الى الخلف وكأنهما تخافان ان استرجع منهما النقود . وراقبتهما تهبطان اسفل الطريق وكان السواق الثلاثة يضحكون . قال بونيللو :

ـ كم تعطيني لأذهب عنك الى الطريق الرئيسي يا تننت ؟

ـ من الاحسن ان يمسكوا بهما مع الناس من ان يمسكوهما منفردتين .

ـ اعطني مائتي ليرة وسأعود مباشرة الى النمسا .

قال بياني :

ـ سيأخذونها منك .

ـ ربما انتهت الحرب .

كنا نسير فى الطريق بأسرع مانستطيع . كانت الشمس تحاول الظهور . كانت بجانب الطريق أشجار التوت وخلال الاشجار كنت أرى سيارتينا الكبيرتين غائرتين فى الوحل . ونظر بياني ايضاً الى الخلف وقال :

ـ يجب أن يفتحوا طريقاً خاصاً لانتزاعهما من الوحل . وقال بونيللو :

ـ لو كانت لدينا دراجات .

وسأل أيومو :

ـ هل يركبون دراجات في أمريكا ؟

ـ انهم معتادون على ذلك .

ـ هذا شيء عظيم ، الدراجة شيء فاخر . قال بونيللو :

ـ بحق المسيح لو كانت لدينا دراجات ، أنا لا أستطيع المشي .

ـ هل هذا صوت إطلاق النار ؟

وقال أيومو وهو يصغي بسمعه :

ـ لست أدري .

ـ أعتقد ذلك .

قال بياني :

ـ أول ماسنراه قطع الخيالة .

ـ لا أعتقد ان لديهم سلاح خيالة .

ـ أرجو ذلك من الله ، لا أريد ان يسحقني الفرسان . قال بياني :

ـ انك بالتأكيد اصبت ذلك العريف يا تننت . كنا نسير بسرعة وقال بونيللو :

ـ أنا قتلته . انني لم اقتل أحداً في هـــذه الحرب ٠ وفي حياتي كلها تمنيت ان اقتل عريفاً .

ـ قتلته وهو ساكن .

ـ لايهم ، سأذكر الى الاخير اني قتلت ذلك العريف الـ ٠٠٠٠

ـ وماذا ستقول فى الاعتراف ؟

ـ سأقول ، باركني ايها الرب لقد قتلت، عريفاً .

وضحكوا جميعاً . وقال بياني :

ـ انه فوضوي ، انه لايذهب الى الكنيسة .

ـ قال بونيللو :

ـ بياني ايضاً فوضوي .

قلت :

- هل أنتما فوضويان حقيقة ؟

- كلا يا تنتت ، نحن اشتراكيان جئنا من ايعولا . ألم ترها ؟

- كلا .

- انها وحق المسيح لمكان جميل . تعال هناك بعد الحرب ، وسنريك شيئاً .

- هل انتم جميعاً اشتراكيون ؟

- كل شخص .

- انها مدينة جميلة .

- عظيمة ، انك لم تر أبداً مثلها .

- كيف اصبحتم اشتراكيين ؟

- كلنا اشتراكيون ، كل واحد اشتراكي ، هكذا كنا على الدوام . تعال يا تنتت وسنجعلك اشتراكياً ايضاً .

كان الطريق ينعطف الى اليسار وكان هناك تل صغير ووراء جدار حجري اشجار تفـــاح . وكلما ارتفع الطريق فوق التل قللنا من الكلام . وسرنا جميعاً بسرعة نسابق الوقت .

- ٦ -

كنا نسير في طريق يؤدي الى احد الانهار ، كان هناك خط طويل من العربات المتروكة واللوريات · لم يكن هناك احد فى الطريق · كان النهر مرتفع المستوى وكان الجسر قد قصف في منتصفه وقد سقط الطاق الحجري فى الماء الداكن · ومضينا على الضفة نبحث عن مكان للعبور · كنت اعرف ان هناك أمامنا جسراً للسكة الحديد وقد نستطيع العبور عليه · كان طريقنا مبللا وموحلا ، ولم نر جندياً واحداً وانما مجرد لوريات وعربات مهجورة · وعلى الضفة لم يكن هناك إلا الاغصان المبللة والارض الموحلة · وأخيراً رأينا الجسر الحديدي · قال ايومو :

ـ ياله من جسر جميل !

كان الجسر مستقيماً وطويلا من الحديد · قلت :

ـ من الافضل ان نسرع ونعبره قبل ان ينسفوه .

قال بياني :

ـ ليس هناك من ينسفه ، لقد ذهب الجميع .

قال بونيللو :

ـ ربما كان ملغماً ، اعبر انت يا تننت .

قال ايومو :

ـ إسمع الفوضوي . دعه يعبر هو اولا .

قلت :

ـ سأعبر أنا اولا ، لن يكون ملغماً لينفجر من عبور رجل واحد .

قال بياني :

ـ الا ترى ؟ هذا هو العقل ، أليس لك عقل ايها الفوضوي ؟

ـ لو كان لي عقل لما كنت هنا .

ـ هذا بديع يا تننت .

ـ هذا بديع جداً .

كنا قرب الجسر في ذلك الوقت . كانت السماء ملبدة بالغيوم والمطرقد بدأ يهطل وبدا الجسر طويلا وصلباً . وتسلقنا جوانبه .

ـ ليأت واحد بعد الآخر .

قلت ذلك وبدأت السير عبر الجسر . راقبت الفواصل ونهايات الحديد لتجنب اسلاك الالغام ولكنني لم أجد شيئاً منها . ومن خلال الفواصل رأيت النهر يجري كثيف الطين وسريعاً . وأمامنا عبر الحقول الموحلة كنت استطيع ان أرى اودين فى المطر . ونظرت الى الخلف من على الجسر فرأيت جسراً آخر بعيداً عبرته سيارة تبنية اللون . كان الجسر عالياً وكنت أرى رؤوس الراكبين وكانوا اربعة يلبسون جميعاًخوذات المانية . عبرت السيارة الجسر واختفت فى الطريق وراء العربات المتروكة . أشرت الى ايومو والى الآخر ليأتوا . ونزلت الى جانب السكة الحديد وجاء ايومو إلي . سألته :

ـ هل رأيت السيارة ؟

ـ كلا ، كنا نراقبك .

ـ سيارة قيادة المانية عبرت الجسر العالي .

ـ سيارة قيادة ؟

ـ نعم .

ـ يا لماري المقدسة !

قال :

ـ ألا تعتقد اننا قد ضعنا يا تنتت ؟

ـ لا أدري ، كل ما أعرف ان سيارة المانية سارت في ذلك الطريق .

ـ أنت لاتبدو هازلا يا تنتت ، أليس لديك إحساسات لما في ذهنك ؟

ـ لاتكن مضحكا يا بونيللو .

قال بياني :

ـ ماقولكم في بعض الشراب ؟ مادمنا ضعنا فلا بأس ببعض الشراب .

وانزل زمزميته وفتح فمها . صاح ايومو وهو يشير الى الطريق :

ـ انظروا انظروا .

على أعلى الجسر الحجري كنا نرى الخوذات الالمانية ، كانوا منحنين الى الامام ويسيرون بيسر ، ورأيناهم عندما عبروا الجسر ، كانوا من راكبي الدراجات وقد رأيت وجه اول اثنين منهم ، كانوا اصحاء المظهر وحمر الوجوه . وكانت خوذاتهم تنزل على جبهاتهم وعلى جانب من وجوههم . كانت بنادقهم مثبتة الى جوانب دراجاتهم وتتـــدلى القنابل من أحزمتهم . كانت خوذهم والبستهم الرمادية مبللة وكانوا يتحركون بيسر ينظرون الى الامام والى الجوانب . كان هناك اثنان ثم اربعة في خط واحد ثم اثنان ثم « درزن » يتبعه « درزن » آخر وبعد ذلك واحد فقط . واختفوا عن النظر في أعلى الطريق . قال ايومو :

ـ يا لماري المقدسة !

وقال بياني :

ـ انهم المان ، هؤلاء ليسوا نمساويين . قلت :

ـ لماذا لم نجد أحداً يوقفهم هنا ؟ لماذا لم ينسفوا الجسر ؟ لماذا لم نجد رشاشات على هذه الضفة ؟

قال بونيللو :

ـ إخبرنا أنت يا تننت .

ـ الأمر جميعه يثير الجنون . لقد نسفوا هناك جسراً صغيراً ، وهنا تركوا جسراً كبيراً على الطريق الرئيسي . أين هم ، ألم يحاولوا أبداً أن يوقفوهم ؟

ـ إخبرنا أنت يا تننت .

لم أجبه ، لم يكن الأمر يخصني . كان عملي كله ان اصل الى بوردينون بثلاث نقالات طبية . وقد فشلت في هذا . كل ما أعمله الآن هو أن اصل الى بوردينون . ربما لن استطيع الوصول الى اودين . المهم هو ان ابقى هادئاً وان اتجنب القتل او الأسر . قلت لبياني :

ـ ألم تفتح زمزميتك ؟

ناولني بياني الزمزمية وشربت منها جرعة طويلة . قلت :

ـ من الأفضل ان نبدأ المسير ، ليس هناك داع للعجلة ، ألا تريدون الأكل ؟

أجاب بونيللو :

ـ هذا ليس مكاناً للمكوث .

ـ حسناً ، سنبدأ السير .

ـ هل يجب أن نبقى على هذا الجانب بعيداً عن النظر ؟

ـ من الأفضل ان نذهب الى أعلا ، ربما جاءوا لعبور هذا الجسر ايضاً . لا نريدهم فوقنا قبل أن نراهم .

سرنا على طول السكة الحديد ، وعلى جانبينا امتــدت الحقول المبللة وامامنا كان تل اودين وقد سقطت سقوف القلعة فوق التل وكنا نستطيع ان نرى برج الأجراس وبرج الساعة . كان هناك عدد من اشجار التوت البري فى الحقول ورأيت الى الأمام موضعاً حيث مزقت السكة الحديد . صاح ايومو :

ـ اسفل ! اسفل .

وارتمينا الى جانب السدة ، كانت هنــاك جماعة جديدة من راكبي الدراجات فى الطريق ونظرت اليهم من فوق الحافة ورأيتهم يذهبون بعيداً . قال ايومو :

ـ لقد رأونا ولكنهم تابعوا سيرهم .

وقال بونيللو :

ـ سنقتل هنا يا تننت .

ـ إنهم لايهتمون بنــا . إنهم في اثر شيء ما ، وسنكون في خطر لو فاجأونا مفاجأة .

ـ افضل ان نسير بعيداً عن النظر .

ـ حسناً ، سنسير بجانب الدرب البعيد .

سأل ايومو :

ـ هل تعتقد بأننا نستطيع اختراقهم ؟

- بالتأكيد ، ليس هناك كثير منهم حتى الآن ، سنخترقهم فى الظلام.

- ماذا كانت تعمل تلك السيارة ؟

- الله يعلم .

وظللنا نمشي على ذلك الدرب البسيط وكان بونيللو يشعر بالتعب من السير على الضفة الموحلة . ابتعدنا عن الطريق الرئيسي ولم نعد نرى مايحدث عليه . واعترضتنا قنطرة منسوفة ولكننا عبرنا على ركامها الباقي . سمعنا اطلاقاً أمامنا .

ووصلنا الى السكة الحديد خلف الجدول الذي عبرناه ، كانت تتجه باستقامة نحو المدينة عبر الحقول . أمامنا بعيداً السكة الحديد الأخرى والى الشمال كان الطريق الرئيسي حيث رأينا عليه راكبي الدراجات . والى الجنوب كان هناك طريق فرعي صغير عبر الحقول محاط بالأشجار على جانبيه . فكرت بأنه من الأفضل لنا أن نتجه الى الجنوب وندور حول المدينة ثم عبر الريف في اتجاه كامبوفورميو ، ثم نتبع الطريق الرئيسي الى تاكليامنتو . كنا نستطيع تجنب خط التراجع بالبقاء على الطرق الجانبية وراء اودين . كنت اعرف ان هناك كثيراً من هذه الطرق فى السهل ، وبدأت السير هابطاً من الضفة .

وناديت الآخرين . كنا نستطيع السير على الطريق الجانبي ونمر من جنوب المدينة . وهبطنا جميعاً من السدة الى الطريق . اطلقت علينا رصاصة من الطريق الجانبي واستقرت في طين السدة .

صرخت بهم « إرجعوا الى الخلف » وبدأت فى الصعود على السدة

زاحفاً على الطين وصعدت بأسرع ما يمكن وجاءت رصاصتان من بين مجموعة الاشجار الكثيفة ، وسقط أيومو وهو يعـــبر السكة واستلقى على وجهه . سحبناه الى الجهة الأخرى وقلبناه ورجلاه الى أسفل المرتفع ، كان يتنفس وينفث الدم . كانت إصابته في أسفل الرقبة من الخلف وقد اتجهت الرصاصة الى أعلى وخرجت تحت العين . وقد مات وأنا أحاول سد الثغرتين .

نكس بياني رأسه وسالت دموعه وقال :

ـ الأنغال .

ـ لم يكونوا من الألمان ، لا يمكن أن يوجد ألمان هنالك .

ـ ايطاليون إذن ؟

ولم يقل بونيللو شيئاً ، كان جالساً بجانب أيومو ولم يكن ينظر اليه ، والتقط بياني قبعة أيومو ووضعها على وجهه وسحب زمزميته وقال لبونيللو:

ـ ألا تريد أن تشرب ؟

ـ كان من الممكن أن يحدث لنـــا هذا في أي وقت ونحن نسير على السكة الحديد .

ـ كلا . . حدث هذا بسبب عبورنا الحقل .

ـ وهز بونيللو رأسه وقال :

ـ مات أيومو ، من سيكون التالي ؟ أين نذهب الآن ياتننت ؟

ـ لقد كانوا ايطاليين ، لم يكونوا من الألمان .

ـ أعتقد انهم لو كانوا من الألمان لقتلونا جميعاً .

ـ نحن في خطر من الايطاليين أكثر من الألمان . ان حراس المؤخرة

يخافون من أي شيء ، اما الألمان فهم يعرفون ما يريدون .

ـ انك تحللها منطقياً يا تننت .

وسأل بياني :

ـ أين نذهب الآن ؟

ـ من الافضل أن نختفي في مكان ما حتى هطول الظلام . فاذا استطعنا الاتجاه جنوباً نجونا .

قال بونيللو :

ـ انهم سيطلقون علينا النـــار على كل حال ليبرهنوا على انهم كانوا مصيبين فى البداية . انني لن أحاول تجربة ذلك .

ـ سنحاول أن نجد مكاناً للاختفاء أقرب ما يكون لاودين ومن ثم نحاول إختراق المدينة عندما يحل الظلام .

ـ اذن فلنذهب .

وهبطنا إلى جهة الشمال ، ونظرت الى الخلف ، كان أيومو ملقى فى الوحل في زاوية السدة . كان صغيراً فى الحجم ويداه ممتدتان الى جانبيه . كان يبدو ميتاً « جداً » وكان المطر يهطل . لقد أحببته مثل الآخرين الذين كنت أعرفهم . كانت أوراقه في جيبي وسأكتب الى عائلته . كان هناك أمامنا عبر الحقول بيت ريفي وكانت حوله أشجار وقد بقيت أماكن للخزن . وكانت هناك شرفة على طول الطابق الثاني تستند الى أعمدة .

ـ من الافضل أن نبتعد قليلا عن بعضنا ، سأسير أنا فى المقدمة .

قلت ذلك وسرت نحو البيت الريفي ، كان هنـاك درب مطروق عبر الحقل .

وكنا ونحن نعبر الحقل نعرف أن أي واحد يمكن أن يطلق علينا النار من الاشجار التي كانت حول البيت أو من البيت نفسه . وسرت نحوه وأنا أراه بوضوح . كانت الشرفة تبرز على أعمدتها ، كانت ساحة الدار من الحجر وكانت الاشجار جميعاً تقطر ماءاً . كانت هناك عربة كبيرة فارغة من ذوات العجلتين . ووصلت الساحة الحجرية وعبرتها ووقفت تحت الشرفة . كان باب البيت مفتوحاً فدخلت فيه . وجاء بونيللو وبياني خلفي . كان الظلام حالكا فى الداخل . ذهبت الى المطبخ ، كان هناك رماد فى الموقد الكبير المفتوح . كانت الاوعية معلقة فوق الرماد ولكنها كانت فارغة . نظرت حولي ولكنني لم أجد أي شيء يؤكل ، قلت :

ـ من الافضل أن ننام فى المخزن . هل تعتقد أن بامكانك أن تجد أي شيء يؤكل يابياني وتأتي به الى هنا ؟

ـ سأرى .

وقال بونيللو :

ـ سأبحث أنا أيضاً .

ـ حسناً ، سأذهب أنا الى المخزن وأبحث .

ووجدت سلماً حجرياً يبدأ من الاسطبل الى المخزن ، كانت رائحة الاسطبل جافة ولا بأس بها ، مع نسيم المطر . كانت الماشية قد ذهبت كلها ، ربما أخذت عندما هجر المنزل . كان المخزن نصف مملوء بالتبن وكانت فيه نافذتان فى السقف فى الجهة الشمالية إحداهما مغطاة بالألواح والاخرى جانبية . كان هناك منحدر لانزال التبن للماشية . سمعت المطر على السقف

وشممت رائحة التبن وعندما هبطت شممت رائحة الروث الجاف فى الاسطبل. كنا نستطيع أن نرفع أحد الالواح ونرى الساحة الى الجنوب، وكانت النافذة الاخرى تطل على الحقول شمالا. وكنا نستطيع أن نخرج من أي من النافذتين الى السطح ونهبط من هناك أو نهبط من منحدر التبن عندما يتعذر علينا اتخاذ طريق السلم الحجري. كما انه كان بامكاننا الاختفاء فى التبن إذا ماسمعنا صوتاً ما. كان يبدو مكاناً طيباً. كنت متأكداً من اننا كان باستطاعتنا أن نذهب الى الجنوب لولم يطلقوا النـــار علينا. كان من غير الممكن وجود المان هناك، كانوا يأتون من الشمال متبعين الطريق من سيفيدال. لم يكن من الممكن أن يأتوا من الجنوب. لقد كان الايطاليون أخطر علينا، كانوا خائفين ويطلقون النار على كل شيء يرونه. فى الليـــلة الماضية سمعنا في خط التراجع بوجود المان لبسوا لباس الايطاليين واختلطوا بهم فى الشمال، ولم أصدق ذلك، فقد كان هذا من جمـــلة ما يطالعك من الاشاعات أثناء الحرب. لم يكونوا بحاجة الى إشاعة الفوضى في تراجعنا، لقد كان حجم الجيش وقلة الطرق كافيين للعمل على ذلك. وتمددنا فى التبن وتبادلنـــا الحديث وصدنا العصافير. وأصغيت الى صوت الاطلاقات الى الشمال من اتجاه أودين. كنت أسمع صوت الرشاشات ولم يكن هنـــاك قصف مدفعي. رأيت بيـــاني واقفاً على الارض وكان بيده سجق[1] طويل ووعاء لم أعرف مافيه وزجاجتان من النبيذ كانتا تحت أبطه.

ـ إصعد، إليك السلم.

---

(١) لحم محشو في مبار من نوع « البسطرمة ».

ثم أدركت انه لا يستطيع الصعود بأشيائه كلها فنزلت لاساعده ، كان رأسي يدور وكنت قد كدت أنام ، قلت :

ـ أين بونيللو ؟

ـ سأخبرك .

صعدنا السلم الخشبي ووضعنا أشياءنا فوق التبن . أخرج بياني سكينته ونزع فلينة زجاجة النبيذ . قال :

ـ لقد لحموه بالشمع . لابد أن يكون من النوع الجيد .

ـ أين بونيللو ؟

نظر بياني إلي وقال :

ـ لقد ذهب يا تننت . قال انه سيسلم نفسه كأسير . لم أقل شيئاً .

أضاف بياني :

ـ كان خائفاً أن يقتلونا .

وأمسكت بالزجاجة ولم أقل شيئاً . قال :

ـ أنت ترى اننا لا نؤمن بالحرب على كل حال يا تننت .

ـ ولم لم تذهب أنت ؟

ـ لم أرد أن أتركك .

ـ أين ذهب ؟

ـ لا أدري يا تننت ، لقد ذهب بعيداً .

ـ حسناً ، ألا تقطع السجق ؟

ـ لقد قطعته ونحن نتحدث .

وجلسنا فى التبن وأكلنا السجق وشربنا النبيذ · لابد انه كان نبيذاً معداً لحفلات الزفاف ، كان معتقاً ·

ـ انظر أنت من هذه النافذة يالويجي وأنا انظر من النافذة الاخرى ·

كنا نشرب كل من إحدى الزجاجتين · وذهبت بزجاجتي وتمددت على التبن وأخذت انظر من النافذة الضيقة الى الحقول المبللة . لم اكن اعرف ما يمكن ان أراه ، ولكني لم أر إلا حقولا وأشجاراً جرداء والمطر يهطل · شربت النبيذ ولكن لم يشعرني بالراحة · لقد عتق كثيراً وفقـــد نوعيته ولونه . ورأيت الظلام يهبط فى الخارج بسرعة · انها ليلة سوداء ممطرة . وعندما احلولك الظلام لم تعد هنـاك فائدة من المراقبة . ومن ثم عدت الى بياني . كان نائماً ولم اوقظه وإنما جلست بجانبه برهة . كان رجلا ضخماً وقد نام نوماً عميقاً . بعد مدة ايقظته وبدأنا السير ·

كانت تلك الليلة غريبة جداً . لا أدري ماذا كنت اتوقع . ربمـــا الموت او اطلاق النار او الهرب ، ولكن لم يحدث شيء . انتظرنا في إحدى السواقي بجانب الطريق الرئيسي ريثما مرت فرقة من الالمان . وعندما مر الالمان عبرنا الطريق واتجهنا الى الشمال . اقتربنا من الالمـــان مرتين تحت المطر ولكنهم لم يرونا . وعبرنا البلدة الى الشمال دون ان نرى أي أثر للايطاليين · وسرنا الليل بطوله الى تاكليا منتو . لم ادرك إذذاك كم كان التراجع واسعاً . كان القطر كله يتحرك فضلا عن الجيش . سرنا الليل كله افضل مما تسير المركبات . اخذت رجلي تؤلمني وتعبت ولكننا اكتسبنا وقتاً ثميناً · وقد بدا من الحماقة ان يكون بونيللو قد فضل ان يسلم نفسه

للاسر . لم يكن هناك خطر . إخترقنا جيشين من دون أن تحدث لنا حادثة . لم يزعجنا أحد عندما كنا نبدو سائرين بجانب السكة الحديد . لو لم يقتل أيومو لما فكرنا بالخطر . عجبت أين هو بو نيللو الآن . وسألني بياني ونحن نسير إلى جانب أحد الطرق المزدحمة بالجنود والمركبات :

ـ كيف أنت يا تننت ؟

ـ بخير .

ـ لقد تعبت من هذا المسير .

ـ كلما نستطيعه الآن هو أن نمشي .

ـ لقد كان بو نيللو أحمق .

ـ نعم لقد كان أحمق .

ـ ماذا ستقول عنه يا تننت ؟

ـ لا أدري .

ـ هل تستطيع أن تسجل أنه أخذ أسيراً ؟

ـ لا أدري .

ـ لعلك تعرف أنهم إذا ما إستمرت الحرب ربما أزعجوا أسرته .

ـ الحرب لن تستمر ، إننا ذاهبون إلى بيوتنا وقد إنتهت الحرب .

قال ذلك أحد الجنود وهو يسير بجانبنا . وقال آخرون :

ـ كلنا نذهب إلى بيوتنا .

قال بياني :

ـ إسرع يا تننت .

كان يريد أن يجتازهم .

ـ تنتت ، من هو تنتت ؟ ضابط أول ؟ فليسقط الضباط .

جرني بياني من ذراعي وقال :

ـ من الأفضل أن أدعوك باسمك . إنهم ربما آذونا . لقد قتلوا بعض الضباط .

وأسرعنا واجتزناهم . وتابعت محادثتنا :

ـ لن أكتب شيئاً يسبب لأسرته أية متاعب .

ـ إذا كانت الحرب قد إنتهت فليس هناك فرق ما . ولكنني لاأعتقد إنها إنتهت . إن إنتهاءها خير عظيم .

ـ سنعرف ذلك قريباً .

ـ لا أصدق بانتهائها ، كلهم يعتقدون بأنها إنتهت ولكنني لا أصدق ذلك .

وصاح أحد الجنود :

ـ فيفا لاباسن ، إننا ذاهبون إلى بيوتنا .

قال بياني :

ـ كم هو جميل أن نذهب جميعاً إلى بيوتنا . ألا تحب أن تذهب إلى بيتك ؟

ـ نعم .

ـ إننا لن نذهب أبداً . لا أظن إنها إنتهت .

صاح أحد الجنود :

- انديانو آ كاسا .

قال بياني :

- إنهم يرمون بنادقهم . إنهـــم ينزعونها ويرمونها وهم يسيرون ثم يصرخون هاتفين .

- يجب أن يحتفظوا ببنادقهم .

- إنهم يعتقدون بأنهم إذا ما رموا بنادقهم فلن يستطيع أحد دفعهم الى الحرب .

فى الظلام والمطر ، شاقين طريقنا الى جانب السائرين ، كنت أستطيع أن أرى كثيراً من الجنود محتفظين ببنادقهم . إنها ملتصقة فوق المعاطف .

صاح أحد الضباط :

- من أي فوج أنتم ؟

فأجابه أحد الجنود :

- بريكاتا دي باس .

فلم يجب الضابط .

- ماذا قال الجندي ؟ ماذا قال الضابط ؟

- فليسقط الضباط . أفيفا لاباس .

واجتزنا نقالتين انكليزيتين بين العربات .

- إنهم من كوريزيا . أنا أعرف السيارات .

- إنهم ساروا أكثر منا .

ـ لقد بدأوا قبلنا .

ـ أين السواق ياترى ؟

ـ إلى الامام على الأرجح .

ـ لقد توقف الالمان قرب أودين . هؤلاء جميعاً سيعبرون النهر .

ـ نعم . ولهذا أعتقد بأن الحرب ستستمر .

ـ يستطيع الالمان أن يدركونا . ياترى لماذا لم يفعلوا ذلك ؟

ـ لاأدري . لا أعرف أي شيء عن هذه الحرب .

ـ لابد أن عليهم أن ينتظروا تنظيم مواصلاتهم .

ـ لا أدري .

كان بياني يبدو أرق عندما يكون وحده ، ويبدو محدثاً فظاً عندما يكون مع الناس .

ـ هل أنت متزوج يالويجي ؟

ـ أنت تعلم إنني متزوج .

ـ ألهذا السبب لم ترد أن تصبح أسيراً ؟

ـ هذا أحد الاسباب . هل أنت متزوج ياتننت ؟

ـ كلا .

ـ ولا بونيللو .

ـ لاتستطيع أن تستنتج شيئاً من كون المرء متزوجاً . ولكن أعتقد أن الرجل المتزوج يريد أن يعود الى زوجته . كنت أحب أن أتكلم عن الزوجات .

ـ نعم .

ـ كيف حال قدميك ؟

ـ متقرحتان بما فيه الكفاية .

قبل الفجر بلغنا سدة تا كليا منتو وتتبعناها هابطين بجانب النهر الفائض إلى الجسر حيث كان الجميع يعبرون . قال بياني :

ـ يجب أن يكونوا قادرين على الاحتفاظ بهذا النهر .

وكان الفيض يبدو عالياً فى الظلام . كان الماء يجري ويدور والنهر واسعاً . كان طول الجسر الخشبي ثلاثة أرباع الميل تقريباً وقد بلغ المــــاء خشب الجسر مرتفعاً عن قعر الوادي العميق الذي يجري فيه فى الاوقات الاعتيادية . وسرنا على طول الضفة وحشرنا أنفسنا فى الجمع الذي كان يعبر الجسر . عبرنا ببطء تحت المطر يضغط علينا الناس المزدحمون وأمامنا تماماً مدفع من مدافع الميدان . نظرت جانباً الى النهر . شعرت بالتعب ونحن لانستطيع أن نسير بارادتنا . لم يكن العبور مريحاً . وتساءلت في نفسي عن الحالة إذا ما قصفت إحدى الطائرات الجسر فى النهار .

وناديت بياني فأجابني من أمامي . لم يكن هناك من يتحدث . كانوا جميعاً يحاولون العبور بأسرع ما يستطيعونه ، ولا يفكرون إلا بهذا . وكنا تقريباً قد عبرنا الجسر . كان على فم الجسر ضباط وجنود « كارابيناري » بيدهم أضواء كشافة . وعندما اقتربنا منهم شاهدت أحد الضباط يشير إلى أحد الرجال فى الخط . وذهب أحد الـ « كارابيناري » اليه وجاء به يسحبه من يده وأخذه بعيداً عن الطريق . ووصلنا تقريباً في مواجهتهم . كان

الضباط يفحصون كل شخص تقريباً . وبعضاً كانوا يتكلمون فيما بينهم ، ويوجهون الضوء إلى وجه أحد الاشخاص . وأخذوا أحدهم من أمامنا مباشرة . لقد رأيت الرجل كان برتبة عقيد ورأيت نجومه تلمع على ذراعه في ضوء المصباح الذي وجه اليه كان قصيراً سميناً وشعره شائباً . وسحبه الـ « كاربنياري » الى خلف الضباط . وعنـدما وصلنا اليهم رأيت أكثر من واحد منهم ينظر إلي . وأشار إلي أحدهم وتكلم إلى أحد ال« كاربنياري » فاتجه هذا إلي وشعرت به يمسك بياقتي .

ـ ماذا بك ؟

قلت له ذلك وضربته على وجهه الذي بدا لي تحت قبعته . رأيت الدم يهبط إلى خديه فوق شاربيه المعقوفين . واندفع آخر نحونا . كان يريد أن يمسكني . وضعت يدي إلى الخلف لآخذ مسدسي . وقلت :

ـ ألا تعرف أنك لاتستطيع أن تمسك بضابط ؟

أمسك الآخر بيدي ولواها حتى كادت تنخلع فدرت معه وأمسكني الاول من الرقبة . ضربته برجلي ووضعت ركبتي اليسرى في خاصرته . سمعت أحدهم يقول :

ـ اقتله إذا قاوم .

ـ مامعنى هذا ؟

أردت أن اصرخ ولكن صوتي كان واطئاً. كانوا قد جذبوني الى جانب الطريق إذذاك .

ـ من أنت ؟

- سترى ذلك .

- من أنت ؟

- بوليس حربي .

- لماذا لم تطلب مني المجيء بدلا من هذه المعاملة ؟

لم يجب أحد ، لم يكن عليهم ان يجيبوا ، لقد كانوا بوليساً حربياً .

قال الضابط :

خذه مع الآخرين . ألا ترى انه يتكلم الايطالية بلهجة اجنبية .

- وانت ايها النغل .

- خذه مع الآخرين .

واخذونا خلف الضباط اسفل الطريق في اتجاه جماعة من الرجال في حقل بجانب النهر . وسمعنا ونحن نسير تجاههم طلقات نارية ورأيت وميض البنادق وصداها ووصلنا الى الجماعة . كان هناك اربعة ضباط يقفون معاً ورجل امامهم وإثنان من الـ « كاربنياري » على جانبيهم . وكان جماعة من الرجال يقفون ايضاً تحت الحراسة . كان الحراس من ذوي الخوذات العريضة . دفعوني مع الجماعة المعدين للتحقيق . نظرت الى الرجل الذي يحقق معه الضابط ، كان العقيد القصير السمين ذا الشعر الاشيب . كان المحقق هادىء المظهر من اولئك الايطاليين الذين يطلقون النار ولا يطلق عليهم .

- فرقتك ؟

فأجابهم .

- فوجك ؟

فأجابهم .

ـ لماذا تركت فرقتك ؟

فأجابهم .

ـ ألا تعلم ان الضابط يجب ان يظل مع جنوده ؟

فأجابهم .

وتكلم ضابط آخر :

ـ انك انت وامثالك الذين تركتم البرابرة يطأون ارض بلادك المقدسة.

ـ عفواً ؟

ـ انه بسبب الخيانة ان فقدنا ثمار النصر .

ـ ألم تشترك عمرك في تراجع ؟

ـ يجب ان لاتتراجع ايطاليا .

ووقفنا هنـــاك فى المطر واصغينا الى هـذا . كنا نواجه الضباط والاسرى الى جانبنا . قال العقيد :

ـ إذا كنت تريد ان تعدمني فأرجو ان تعدمني حالا بلا اسئلة . ان اسئلتك سخيفة جداً .

وتحادث الضباط مع بعضهم . كتب احدهم شيئاً على ورقة وقال :

ـ ترك وحدته . يحكم بالاعدام رمياً بالرصاص .

واخذ اثنان من الكارابنياري العقيد الى ضفة النهر . سار فى المطر رافعـــاً قبعته . لم ارهم يرمونه بالرصاص ولكنني سمعت الطلقات . كانوا يحققون مع شخص آخر . كان هذا الضابط قد انفصل ايضاً عن جنوده .

لم يسمح له بالايضاح . صرخ عندما قرأوا الحكم من الورقة . كانوا يحققون مع شخص آخر عندما رموه بالرصاص . وبهذه الطريقة ساروا في التحقيق . لم ادر ما إذا كنت يجب ان انتظر التحقيق ام احاول الهرب . كنت بالنسبة لهم كما يبدو المانياً في لباس إيطالي . كنت ارى كيف تعمل عقولهم إذا كان لديهم عقول او كانت تعمل اصلا . لقــد كانوا جميعاً شباناً يعملون على إنقاذ بلادهم . كان الجيش الثاني قد نظم من جديدوراء تاكليامنتو . كانوا يحكمون على ضباط كبار انفصلوا عن جنودهم . كانوا يواجهون ايضاً المانيين بلباس ايطاليين . وكانوا يرتدون خوذات فولاذية . كنا نقف فى المطر ويؤخذ منا الواحد بعد الآخر ليحقق معه ويعدم . لقد اعدم حتى الآن كل من حقق معه . كانوا من اولئك الذين يحققون العدل بصلابة ويحكمون بالقتل دون ان يكونوا معرضين له . إنفلت فجأة واندفعت بين رجلين وركضت نحو النهر ورأسي منحن والقيت بنفسي فى الماء . كان المـــاء بارداً وبقيت تحته بقدر ما استطعت . شعرت بالتيار يدور بي وبقيت تحت الماء حتى اعتقدت بأنني لن استطيع الخروج منه . وعندما ارتفعت اخذت نفساً وعدت الى الغوص . كان من السهل ان أبقى تحت الماء بما علي من ملابس وحذاء ثقيل ، وعندما ارتفعت مرة ثانية رأيت خشبة طافية امامي فتشبثت بها بيد واحدة . واحتفظت برأسي خلفها ولم احاول حتى أن أنظر من فوقها . لم أكن أريد أن أرى الضفة . أطلقت طلقات عندما ركضت وطلقات عندما القيت بنفسي من النهر وعندما ارتفعت

اول مرة . ولم تطلق طلقات الآن . ونظرت بعد برهة الى الضفة وكانت تبدو وكأنها تسير بسرعة وكان هناك خشب كثير فى التيار . كان الماء بارداً جداً . ثم إبتعدت عن الشاطىء وامسكت الخشبة بيدي الاثنتين .

لا تستطيع أن تقدر كم تكون قد بقيت فى النهر عندما يكون التيار جارياً بانطلاق . ربما بدا لك الوقت طويلا وكان فى الحقيقة قصيراً . كان الماء بارداً والفيضان قد جرف كثيراً من الاشياء في طريقه . كنت محظوظاً إذ وجدت خشبة ثقيلة تعلقت بها . وبقيت في الماء المثلج وذقني على الخشبة ممسكاً بها بيدي الاثنتين . كنت آمل ان تلجأ بي الخشبة الى الشاطىء . وسرت مع النهر في منحنى طويل وكان النهار قد طلع فكنت استطيع ان ارى الاحراش على طول الشاطىء . كانت هنـــاك جزيرة في وسط النهر مملوأة بالأحراش واتجه التيار نحوها . تساءلت في نفسي ما إذا كان علي ان اخلع ملابسي وحذائي واسبح الى الشاطىء ولكنني فضلت ان لا افعل . لم يخطر على بالي أي شيء سوى ان اصل الى الشاطىء بطريقة ما ، وسأكون في حالة سيئة إذا وصلت الشاطىء حافي القدمين . يجب ان اصل الى ميستر على كل حال .

راقبت الشاطىء يقترب مني ، ثم درت بعيداً عنه ، ثم اقترب اكثر مرة أخرى . وكان الشاطىء الآن قريباً جـــداً . كنت استطيع رؤية اوراق شجر الصفصاف . ودرت ببطء ثم رأيت الشاطىء قريباً جداً بحيث حاولت ان اسبح بيد واحدة رافساً الماء باتجاه الشاطىء ، ولكنني لم استطع ان اقترب بالخشبة اكثر مما هي عليه الى الشاطىء . كنت اخاف ان ابتعد اكثر . لممت رجلي الى الخشبة ودفعت الى الشاطىء ولكن التيار كان يأخذني بعيـــداً . فكرت من ثم بأنني قد اغرق بسبب حذائي الثقيلين

ولكنني ظللت اكافح وقدماي تؤلماني بشدة حتى وصلت الى الشاطىء . وتعلقت بأحد اغصان الصفصاف . كنت اعلم إنني لن استطيع جذب نفسي الى اعلى ولكنني عرفت بأنني لن اغرق الآن . وانتظرت متعلقاً بالغصن . وعندما ارتحت جذبت نفسي وارتحت مرة اخرى ثم عالجت نفسي بين احراش الصفصاف حتى وصلت الى الضفة . كان النهار قد انتصف ولم أر احداً . تمددت فوق الارض واخذت اسمع صوت التيار وصوت سقوط المطر .

بعد برهة نهضت وسرت على الضفة . كنت اعرف انه ليس هناك جسر عبر النهر إلا في لاتيزينا . فكرت إنني كنت مقابل سان فيتو . بدأت اسائل نفسي عما يجب ان افعل . هناك كانت ساقية تجري نحو النهر ، فاتجهت إليها . وجلست في بعض الأحراش بجانب النهر . نزعت حذائي وافرغت مافيهما من الماء . نزعت معطفي واخرجت اوراقي وما في جيوبي وكانت كلها مبللة ورميت بمعطفي ونزعت سراويلي ورميت بها ايضاً . وبعد ذلك نزعت بقية ملابسي . وبدأت أدلك جسمي وعدت فلبست ملابسي اما قبعتي فقد فقدتها .

وقبل ان البس معطفي نزعت النجوم من ردني ووضعتها مع نقودي فى الجيب الداخلي . كانت نقودي مبللة ولكنها سالمة ، وقد عددتها . كان لدي اكثر من ثلاثة آلاف ليرة . كانت ملابسي مبللة وباردة وفركت يدي لأحتفظ بالحرارة . وفكرت بأنني إذا بقيت سائراً فلن أصب بالبرد . كانوا قد أخذوا مسدسي في الطريق وكان الجو بارداً تحت المطر .

وبدأت اسير على ضفة القناة . كان النهار مضيئاً والحقول مبللة ومنخفضة وقبيحة المنظر عارية . كنت ارى بعيداً أحد الأبراج يبدو وراء السهل . ووصلت الى أحد الطرق . وسرت بجانب الطريق ومر بي كثيرون ولكن لم يلتفتوا إلي . كانوا من حملة الرشاشات سائرين الى النهر .

واجتزت ذلك النهار سهل فنيتيان ، وهو منخفض مستو ويبدو اكثر استواء تحت المطر . وفي إتجاه البحر كانت هناك مستنقعات ملحية وطرق قليلة جداً . كان عليك ان تطرق الدروب الممتدة الى جانب القنالات في طريقك الى البحر . كنت اجتاز المنطقة من الشمال الى الجنوب واجتزت سكتي حديد وعدداً من الطرق . ووصلت اخيراً الى سكة حديدممتدة الى جانب مستنقع وكانت الخط الرئيسي بين البندقية وتريست ولها سدة عالية صلبة . وكانت هناك محطة بعيدة كما كان هنـــاك جسر على احد الجداول الجارية نحو المستنقع . كنت أرى حرساً على المحطة وعلى الجسر معاً . وبينما كنت أجتاز الحقول الى الشمال رأيت قطاراً يسير على هذه السكة . وراقبت الحارس مستلقياً على السكة بحيث كنت أرى الاتجاهين معاً . كنت جائعاً وانتظرت القطار . كان القطار الذي رأيته طويلا جداً وما كنته بطيئـــة ففكرت بأني استطيع التعلق به . وجاء القطار في إتجاهي ، وكانت الماكنة تكبر وكان الحارس على الجسر في الجهة الثانية ، مما سيجعله بعيداً عن النظر إذا وصلني القطار . ورأيت عربات عديدة في القطار ولم استطع ان ارى الحرس الذي على القطار . ووصلت الماكنة بقربي وعندما اجتازتني وقفت على قدمي ومرت بجانبي عدة عربات للحمل ثم رأيت عربة واطئة مفتوحة

مما يسمونه « الجندول » مغطاة بالمشمع وقفزت الى مؤخرها ووقفت على الفاصلة بين تلك العربة والعربة العـــالية التي تليها . لم أر أحداً يراقبني . وعندما وصلنا الى الجسر رأيت الحارس ينظر إلي . كان شاباً وكانت الخوذة اكبر من رأسه . ولم يلح في النظر إلي . واخذت افحص غطاء العربة فوجدت انه مثبت بواسطة حبل الى الحافة . اخرجت سكينتي وقطعت الحبل ووضعت ذراعي تحت الغطاء فوجدت زوائد صلبة تحت الغطاء متصلة بجدار العربة . نظرت الى الامام فرأيت احد الحراس على عربة الحمل الامامية وكان ينظر الى الامام . دفعت نفسي تحت الغطاء فأصاب شيء ما رأسي واحسست بالدم يسيل من جبهتي ولكني تابعت طريقي وارتميت تحت الغطـاء وثبته من الداخل .

كنت تحت الغطاء بين المدافع وكانت رائحة الزيت والشحم تفوح منها . استلقيت وأخذت استمع الى المطر يسقط على الغطـاء والى صوت عجلات العربة على السكة . كان هناك ضوء قليل يصل إلي وبقيت مستلقياً انظر الى المدافع . ربما كانت مرسلة الى الجبهة من الجيش الثالث . وكان الجرح في جبهتي قد تورم وتخثر الدم حوله . نزعت الدم المتخثر عدا ما كان على الجرح مباشرة ، ولم يكن امره خطيراً ، ولم يكن لدي منـــديل . غسلت وجهي بمـــاء المطر الذي يقطر من المشمع وبواسطة ردني ولم ارد ان ابدو شاذاً . كان علي ان اخرج قبل الوصول الى ميستر فقد كانوا مهتمين بالمدافع فـــلم يكن باستطاعتهم خسارة أي شيء منها . كنت اشعر بجوع فظيع .

كنت مبللا وأنا مستلق فى العربة إلى جانب المدافع . كنت أشعر بالبرد والجوع معاً . ثم قلبت نفسي ونمت على بطني ورأسي فوق ذراعي . كانت ركبتي متصلبة ولكنها كانت على مايرام . لقد أحسن فالنتيني في عمله . لقد اجتزت نصف التراجع على ركبته هذه . إنهـا كانت ركبته والاخرى ركبتي . يقوم الاطباء بعمل شيء لك فلا يصبح الجسم بعد ذلك جسمك . كان الجوع واضحاً هناك . كنت اشعر به يتقلب هناك . كان الرأس رأسي ولكنه ليس للاستعمال ، ليس للتفكير به ، فقط للتذكر وليس للكثير منه .

تذكرت كاثرين ولكنني وجدت نفسي مجنوناً إذا ما فكرت فيها وأنا لا أعلم ما إذا كنت سأراها ، ومن ثم لن أفكر فيها ، إلا قليلا . ضوء قليل خلال المشمع وأنا مستلق مع كاثرين على أرض العربة ، أرض العربة الصلبة للاحساس فقط لا للتفكير ، ملابسي مبللة وارض العربة تسير ببطء والوحدة فى الداخل هذا الانفراد والصلابة والبلل لاتصلح لزوجة .

أنت لاتستطيع ان تحب أرضاً صلبة في عربة ولا المدافع المغطاة ورائحة الغازولين ولا المشمع الذي يقطر منه المطر . كنت أتمنى ان يصل هذا القطار إلى ميستر وان اخرج وان آكل .

ربما أخبرهم بياني انهم اعدموني . ربما اعتبروني غريقاً . عجبـاً ماذا سيسمعون في امريكا . مات من الجروح ومن اسباب اخرى . يا للمسيح كم أنا جائع . ماذا حدث ياترى للقسيس فى المركز ، ورينالدي ، ربما كان

في بوردينون مالم يكونوا قد ذهبوا أبعد من ذلك . ربما لن اراه ، كلهم لن اراهم . لقد انتهت تلك الحياة ، لا اعتقد انه كان مصاباً بالسفلس وهو ليس بمرض خطر على كل حال إذا عالجته في وقته كما يقولون . ولكنه كان منزعجاً ، كنت انزعج انا لو كنت مكانه ، كل شخص ينزعج من هذا .

إنني لم اخلق للتفكير ، خلقت للاكل ، ايها الرب نعم ، آكل واشرب وانام مع كاثرين . ربمـــا هذه الليلة . لو عدت لما ذهبت إلا معها . كان الظلام قد هبط وبقيت مستلقياً افكر اين نذهب معاً . هنـــاك أماكن عديدة .